أشعار النساء

المرزباني



أشعار النساء

أشعار النساء

تأليف
المرزباني



أشعار النساء

المرزباني

رقم إيداع ٢٠١٣ / ٢١٢٣١
تدمك: ٨ ٥٣٤ ٧١٩ ٩٧٧ ٩٧٨

مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة
جميع الحقوق محفوظة للناشر مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة
المشهرة برقم ٨٨٦٢ بتاريخ ٢٦ / ٨ / ٢٠١٢

إن مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره
وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه
٥٤ عمارات الفتح، حي السفارات، مدينة نصر ١١٤٧١، القاهرة
جمهورية مصر العربية
تليفون: ٢٢٧٠٦٣٥٢ ٢٠٢ + **فاكس:** ٣٥٣٦٥٨٥٣ ٢٠٢ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: http://www.hindawi.org

تصميم الغلاف: إسلام الشيمي.

المحتويات

أخبار ليلى ٧
قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر ٢٧
العجلان ٣٣
عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ٣٥
مُرَّة بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ٣٧
جماعة من نساء بني عامر لم يُنسبْن ٣٩
ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان عبد القيس بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار ٤٥
تغلب بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار ٤٩
بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل ٥٥
يَتْمُ اللَّات بن ثعلبة بن عكابة ٦١
شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل ٦٥
يَشكر ٧٣
عجل بن لُجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل ٧٥

أخبار ليلى

أخبار ليلى مع النابغة الجَعْديِّ

كتب إليَّ أحمد بن عبد العزيز، أخبرنا عمر بن شبَّة عن أبي الحسن المدائنيِّ، قال: هاجى النَّابغة الجعديُّ ليلى الأخيليَّة، فقال لها:

ألا حيِّيا ليلى وقولا لها هلا فقدْ ركِبتْ أغرُّ محجَّلا

فقالت تردُّ عليه — وهما قصيدتان له ولها — فغلبته بقوله:

وعيَّرتني داءً بأمِّك مثله وأيُّ جوادٍ لا يُقالُ له هلا

وهلا: كلمة تُقال للفرس الأنثى إذا أنزى عليها الفحل؛ لتسكن.

حدثني محمد بن إبراهيم قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد الوراق قال: حدثني الحكم بن موسى السلولي، أخبرني الباهلي العلَّامة قال: إنه تحاكم إلى ليلى شعراء هوزان: النابغة الجعديُّ، وحيد بن ثور الهلالي، وتميم بن أبي بن مقبل العجلاني، والعجير السلولي، فأنشأت تقول:

ألا كلُّ ما قالَ الرُّواة وزبَّبوا به غير ما قال السلوليُّ بهْرج

تعني: العجير، قال: فنمى الخبر عنها، فقال النابغة الجعدي:

كأنَّك ليلى بغلة تدْمريَّة　　رأت حصنًا فعارضتهنَّ تشْحج

قال: ثم قال:

ألا حيِّيا ليلى وقولا لها: هلا　　فقد ركبت أغرَّ محجَّلا
وبرذَوْنة بلَّ البراذين ثفْرها　　وقد شرِبتْ في أوَّلِ الصيف أيِّلا
وقد أكلتْ بقْلًا وخيمًا نباته　　وقد أنكحت شرَّ الأخايلِ أخْيلا

رأى نفسه بقلًا وخيمًا، يقول: إنها ستسوخم هجائي.

وكيف أهاجي شاعرًا رمْحه استه　　خضيبَ البنانِ ما يزال مكحَّلا
دعي عنك تهجاءَ الرجَالِ وأقبلي　　على أذْلغيٍّ يمْلأ استكِ فيْشلا

قال: وبنو الأذلغ بن بني عبادة بن ربيعة البكاء وكان نكاحًا، فبلغها قوله فقالت:

أنابغ لم تنبغْ ولم تك أولًا　　وكنْت صنيًّا بينَ صُدَّيْن مجهلا

ويُروى: ولم تك موبهًا، ويُروى: بين شعبين مجهلا، ويُروى: وكنت شعيبًا بين صدَّين، والصدَّان: جانبا سفح الجبل، والصني: الثميد يبض شيئًا يسيرًا يشرب به الطير، ولا يشرب به الإنسان لقتله، وصني تصغير صنو، والصنو: الشعب الصغير.

أنابغ إن تنبغ بلؤمكَ لا تجدْ　　للؤمكَ إلا وسطَ جعدة مجْعلا
أعيرتني داءً بأمك مثلُه　　وأي جوادٍ لا يقال لها: هلا؟!

ويروى: وأي حصان. ويقال للفرس الحجر: هلا، وذلك إذا دعيت للإقرار لتنزى. فاجتمع الجعديُّون، وقالوا: والله لنأتين أمير المدينة فلنستعدينَّه عليها فإنها قد قذفتنا، وبلغها ذلك فزادت في القصيدة:

أحقًّا بما أنبيت أنَّ عشيرتي بشوران يزجون المطيَّ المنعَّلا
يروح ويغدو وَفدهم لصحيفةٍ ليستجلدوا لي ساءَ ذلك معملا
على غير جرْم غير أنْ قلت: عمهم يعيش أبوهم في ذَراه مغفَّلا

عمهم: هو عقيل، وأبوهم: هو جعدة. في ذراه: في ذرى عقيل، ويُروى: نداه.

وأعمى أتاه بالحجاز نثاهم وكان بأطراف الجبال فأسهلا

الأعمى: النابغة، جعلته أعمى القلب.

فجاء بهِ أصحابه يحملونه إلى خيرِ حيٍّ آخرين وأوَّلا
إذا صدرت ورَّادهم عن حياضهم تغادر نهبًا للزكاة معقَّلا

تقول: هم يؤدون الصدقة عن إبلهم.

تنافر سوَّارًا إلى المجد والعلا وأقسم حقًّا إن فعلت ليفعلا

ويروى: تسابق سوَّارًا، وهو سوار بن أوفى بن سبرة بن سلمى بن قشير، وكان يهاجي النابغة، ويفخر عليه بأيام بني جعدة:

بمجْدٍ إذا المرء اللئيم أرادَه هوى دونه في مهْيلٍ ثمَّ عضَّلا

عضل: عيي وبلد وضاق.

وهلْ أنت إن كان الهجاء محرَّما وفي غيره فضْل لمنْ كان أفْضلا

وفي غيره فضل: تقول: في غير الهجاء الحسب والكرم، وليس في الهجاء خير ولا يُفضَّل به أحد. تريد: هل لك أن تدع الهجاء وتناسب سوارًا؛ حتى تعرف نفسك ونسبك وقدرك.

لنا تامك دونَ السماءِ وأصله　　مقيمٌ طوال الدَهْرِ لنْ يتحلحلا
وما كان مجْدٌ في أناس عَلمْتُه　　من الناس إلَّا مجدُنا كان أوَّلا

فجليت إلى المدينة، فأقامت بباب مروان، وأنشأت تقول:

أنيخَت لدى باب ابن مروانَ ناقتي　　ثلاثًا لها عند النِتاج صرِيفُ
يطُيف بها فتيانُهُ كلَّ ليلةٍ　　بنيرين مئرانُ الجبالِ وَريفُ

نيرين: شيئين، ويقال: لونين من العلف.

غُلامٌ تلقَّى سؤددًا وهو ناشئٌ　　فأنتَ به رَحْبُ الذراعِ أليفُ
بقيْلٍ كتحبير اليماني ونائلٍ　　إذا قُلِّبتْ دونَ العَطاءِ كفوفُ
وَرُحْنا كأنا نمتطي أخدَرِيَّةً　　أضرَّ بها رخوُ اللبان عنيفُ
وحلأها حتى إذا لم يسُغ لها　　حليٌّ بجَنْبيْ ثادقٍ وجفِيفُ

جفيف: يابس الكلأ، والصغار من الحلي. والنصي: الذي يبس وأصابه المطر فاصفر.

أرنَّ عليها قاربًا وانتحت له　　مُبِرَّةُ أرْساغِ اليدينِ زَروفُ
تُهادي خجُوجًا خدَّدَ الجرْيُ لحْمَهُ　　فلا جحْشَها بالصيف فهي خروفُ

الخروف من الإبل: تنتج في الخريف، والمصيف: في الصيف، والمربع: في الربيع، والهبع: في القيظ، والصقعي: وهو الربعي، والصفري: مطلع سهيل، والدفيء: في آخر الشتاء.

ثم قالت في مروان تمدحه، وتذكر أمر الجعديين:

طرِبْتَ وما هذا بساعة مطْربِ　　إذا الحيُّ حلوًا بين عاذٍ فحَبْحبِ
قديمًا فأضْحَتْ دارُهُم قد تلعَّبتْ　　بها خَرِقات الريح من كلِّ ملعبِ
وكمْ قد رأى رائيهُمُ ورأيتها　　بها لي من عمٍّ كريمٍ ومن أبِ
فوارسَ من آل النُفاضةِ سادةً　　ومن آل سعْدٍ سؤددًا غير متْعبِ

وحيٍّ حريدٍ قد صبحنا بغارةٍ   فلم يُمْس بيتٌ منهمُ تحت كوكبِ
شننَّا عليهم كلَّ جرداءَ شطْبةٍ   لجوجٍ تباري كلَّ أجردَ شرْجبِ
لوَحشيِّها من جانبي زفيانها   حفيفٌ كخذروف الوليد المثقَّبِ
إذا جاش بالماء الحميم سجالها   نضخْنَ بهِ نضخ المزادِ المسرَّبِ
فذَرْ ذا، ولكن قد تمنيت راكبًا   إذا قال قولًا صادقًا لم يُكذَّبِ

وكتب إليَّ أحمد بن عبد العزيز: أخبرنا عمر عن شبة، وحدثني محمد بن أحمد الكاتب، قال: حدثنا أحمد بن يحيى النحوي، وحدثني أحمد بن محمد المكي، قال: حدثنا أبو العيناء، أن النابغة لما قال أبياته التي أولها: ألا حييا ليلى، أجابته بقولها الذي تقدم.

وروى أبو عمرو الشيباني أن النابغة لما قال يذكر يومي رحرحان وهو يهاجي سوار بن سبرة ويفخر عليه بأيام بني جعدة في قصيدة:

هلا سألتَ بيومي رحرحان وقد   ظنَّت هوازن أن العزَّ قد زالا

فلما قال:

تلك المكارم لا قَعبانِ من لبنٍ   شيبا بماءٍ فعاد بعْد أبوالا

قالت ليلى:

وماكنتُ لو قاذَفْتُ جلَّ عشيرتي   لأذكر قعبي حازرٍ قد تثملا

فلما أتى النابغة هذه الأبيات وما دعته إليه ليلى قال: ألا حييا ليلى. حازر: حامض. وتثمل: صار كتلًا من الرغوة، والثمالة: الرغوة، ويقال: الرعوة.

حدثني محمد بن أحمد الكاتب، قال: أنشدنا أحمد بن يحيى النحوي لليلى تمدح مروان بن الحكم:

طربت وما هذا بساعة مطْربِ   إذا الحيُّ حَلوًا بين عاذٍ فحبْحبَ

وذكرها بطولها فاخترنا منها بعد ذكر ناقته:

أدلَّتْ بقُربي عنْدَه وقضى لها ... قضاءً فلمْ ينقضْ ولم يُتعقَّبِ
فإنَّك بعد الله أنت أميرُها ... وقُنعانُها في كلِّ خوفٍ ومرغبِ

قنعان: الذي يقنع برأيه. يقال: هذا قنعاني، وقنعاني: أي ما قنعت به من شيء.

فتُقضى فلولا أنه كلَّ ريبةٍ ... وكلَّ قليلٍ من وعيدِكَ مرهبي
إذن ما ابتغى العادي الظلومُ ظلامةً ... عليَّ وما أجْلبْت للمتَجلِّبِ

معناه: لا بل تعدي عليَّ من ظلم وهجا، فخاف أن أهجو وأنتصر فيعدي عليَّ.

تبادِرُ أنباءَ الوشاةِ وتبتغي ... لها طلباتِ الحقِّ من كل مطلبِ
إذا أدلجتْ حتى ترى الصبحَ واصَلت ... أديم نهارِ الشمس ما لم تغيَّبِ
فلمَّا رأتْ دارَ الأمير تخاوَصتْ ... فقلت لها: قد هبْت من متَهيَّبِ

تخاوصت بعينيها.

صياحَ فَراريج العقول وحاجبًا ... وصوْتَ المنادي بالصلاة المثوِّبِ

العقور: الحصون والقصور. ويروى: بالأذان المثوب.

وترْجيعَ أصواتِ الخصوم تردُّها ... بيوت فضاءٍ في طمارٍ مبوَّبِ

الطمار: المكان المرتفع. ومبوب، أي: له باب.

يظلُّ لأعلاها دَوِيٌّ كأنه ... ترنُّمُ قاري بيْتِ نحْلٍ منوِّب

القاري: ذكر النحل الذي يجمعها، والمنوب: المسود، أي: يسود هذا النحل بما يعمل موضعه، ومنه سمي النوبي لسواده، وأنشد: في بيت نوب عوامل. ويروى: نحل مجوب.

وأنشدني محمد بن أحمد، قال: أنشدنا أحمد بن يحيى لليلى أيضًا:

أنيختْ لدى بابِ ابنِ مروانَ ناقتي ثلاثًا لها عنْدَ الرتاج صريفُ
يطيف بها فتيانه كلَّ ليلةٍ بنيْرَيْنِ مئران الجبال وريف

الرتاج: الغلق، ومنه أرتج على القارئ. ومئران من النشاط. النيران: شحم العام الأول، وشحم عامها هذا، ويقال: ناقة ذات نيرين، أي: شحم عامي، وشحم حولي.

أخبار ليلى مجموعة

حدثني أحمد بن محمد الجوهري، قال: حدثنا الحسن بن عليل العنزي، قال: حدثنا محمد بن زياد البكراوني، قال: سمعت العتبي يقول: دخلت ليلى الأخيليَّة على عبيد الله بن أبي بكرة.

قال محمد: وسمعت ابن عائشة يقول: دخلت امرأة من هوزان على عبيد الله بن أبي بكرة، فقلت له: هي الأخيليَّة. فقال: لعلها. فقالت: أصلح الله الأمير، أتيتك من بلاد شاسعة ترفعني رافعة، وتهضبني هاضبة، لملمات من البلايا برين عظمي، ونكهن جسمي، وتركنني أمشي بالحريض قد ضاق بي البلد العريض بعد عدة من الولد، وكثرة من العدد، أفنين عددي، وأوعزن تلدي، فلم يتركن لي سبدًا، ولم يبقين لي لبدًا، فسألت في أحياء العرب من المرتجى سيبه، والمأمون غيبه، والمحمود نائله، فدُلِلت عليك — أصلحك الله — وأنا امرأة من هوازن هلك الوالد، وغاب الفاقد، فاصنع بي إحدى ثلاث.

قال: وما هن؟ قالت: تحسن صفدي، أو تقيم أودي، أو تردني إلى بلدي، فقال: بل نجمعهن لك. فجمع لها الخلال الثلاث. قال أحدهما: ثم أوصى لها بعد موته بمثل ميراث إحدى بناته.

حدثني أبو عبد الله الحكيمي، قال: حدثنا أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي قال: قالت ليلى الأخيليَّة لبني عبادة قومها؛ وسئلت عنهم، فقالت: شر كالتراب وخير كالصؤاب.

أنشدني محمد بن أحمد الكاتب، قال: أنشدنا أحمد بن يحيى النحوي لليلى:

شُمُّ العَرانينِ أسْماطٌ نِعالهم بِيض السرابيلِ لم يعْلقْ بها الغَمَرُ

نعل سمط: إذا كان طاقًا واحدًا ليست مطارقة.

أنشدنا أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة النحوي، وقال: هو لليلى الأخيليَّة:

ألا ليت شعْري والخطوب كثيرةٌ   متى رحْل قيس مستقِلٌّ فراجع
بنفسيَ من لا يسْتقِل برحْلهِ   ومن هو إن لم يحفظ الله ضائعُ

حدثني عبد الله بن يحيى العسكري قال: روى أبو عمرو الشيباني لليلى تمدح أبا بكر بن كلاب بن ربيعة:

إن كنْتَ تبغي أبا بكرٍ فإنَّهم   بكلِّ ساحةِ قوْم منهم أثَرُ
نعمي وبؤسي بآفاق البلاد فما   ينال أعداؤهم منهم، ولا قدروا
والعالمون إذا ما الأمر ضافهمُ   أنَّى يحاوَلُ منه الوِرْد والصدَرُ
واخترت آل أبي بكْرٍ لحاجتنا   وكان فيهم لمن يختارهم خيَر
وما اتهمت بني جَزْءٍ بظنَّتهِ   وما أساءوا وما ضاعَ الذي حضروا

بظنته، أي: بظنه أبي جزء، وبنو جزء آل عبد العزيز بن زرارة، وهم من بني بكر بن كلاب.

قال: وروى أبو عمرو أيضًا لها تفخر:

نحن منعْنا بين أسْفَل ناعت   إلى وارداتٍ بالخميس العرمرم
بحيٍّ إذا قيل: اظعنوا قد أتيتُم   أقاموا على هَوْلِ الجنانِ المُرَجَّمِ
تحمَّل أولاهم من الدار غدوةً   وتمسي بها أخراهم لم تَصَرَّمِ

أخبار ليلى مع الحجَّاج بن يوسف، وذلك في آخر عمرها

حدثني أبو عبد الله الحكيمي. قال: حدثني يحيى بن يموت بن المزرع قال: حدثنا رفيع بن سلمة. قال: حدثني أبو عبيدة، قال: دخلت ليلى الأخيليَّة على الحجَّاج فأنشدته:

فنعم فتى الدنيا لئنْ كان فاجرًا   وفوق الفتى إن كان ليسَ بفاجرِ

فتًى هو أحيا من فتاةٍ حييَّةٍ وأشجعُ من ليْثٍ بخفانَ خادرِ
فتًى فيه فتيانيَّةٌ أريحيَّةٌ بقيَّة أعرابيَّةٍ من مُهاجر

فقال فتى من جلساء الحجاج: والله أيها الأمير ما كان في توبة عشير ما تقول ليلى.

فقالت ليلى: والله — أيها الأمير — لو رأى ذلك توبة لتمنى أن لا تبقى في داره بكر إلا حملت منه.

وأخبرني عبد الله بن يحيى قال: حدثني محمد بن جعفر، قال: حدثنا ابن أبي سعد، قال: حدثني أبي الحسن الموصلي عن سلمة بن أيوب بن مسلمة الهمذاني فقال: كان جدي عند الحجاج فذكر أن امرأة قد دخلت عليه فسلَّمت فردَّ عليها، وقال: مَن أنتِ؟ قالت: أنا ليلى. قال: صاحبة توبة بن حمير؟ قالت: نعم. قال: فماذا قلت فيه لله أبوك؟ قالت: قلت:

فإنْ تكنِ القتلى بواءً فإنَّكم فتًى ما قتلتُم آل عوفِ بن عامرِ

وذكر منها أبياتًا فقال لها أسماء بن خارجة الفزاري: أيتها المرأة إنك لتصفين هذا الرجل بشيء ما تعرفه به العرب. قال: فقالت: أيها الرجل، هل رأيت توبة؟ قال: لا. قالت: أصلح الله الأمير، فوالله لو رأى توبة فودَّ أن كل عاتق في بيته حامل من توبة. قال: فكأنما فُقئ في وجه أسماء حَب الرمَّان. فقال له الحجَّاج: وما كان لك ولها.

حدثني محمد بن أحمد الكاتب، قال: حدثنا أحمد بن يحيى النحوي عن عبد الله بن أحمد المكي، عن عبد الله بن مشهور، قال: دخلت ليلى الأخيليَّة على الحجاج، فقال لها: أنشديني ما قلت في توبة، فأنشدته:

كأنَّ فتى الفتيان توبةَ لم ينخْ قلائِصَ يفْحصْنَ الحصى بالكراكرِ
ولمْ يبْنِ أبرادًا رقاقًا لفتيةٍ كرامٍ ويرحلْ قبْلَ فيءِ الهواجرِ

فقال لها الحجَّاج: هل كان بينك وبينه سوء؟ قالت: لا، والله، إلا أنه أرسل رسولًا مرة، فقال: إذا أتيت حاضر بني عبادة — يعني: ابن عقيل — فنادى فيه:

عفا الله عنها هل أبيتنَّ ليلةً من الدهر لا يسري إليَّ خيالها

فظننت أنه جنح لبعض الأمر، فناديت:

وعنْه عفا رَبي وأَصْلحَ بالهُ فعزَّ علينا حاجةٌ لا ينالها

وحدثني محمد بن إبراهيم، قال: حدثنا أحمد بن أبي خيثمة، قال: أخبرنا علي بن المغيرة الأثرم عن أشياخه، قال أحمد: وأخبرنا عبد الله بن أبي كريم عن أبي عمرو الشيباني، أن ليلى الأخيليَّة قدمت على الحجاج بن يوسف، وعنده وجوه أصحابه وأشرافهم إذ أقبلت جارية، فأشارت إلى الحجاج، وأشار إليها بيده، فذهبت فما تلبث أن جاءت امرأة من أجلِّ النساء وأكملهنَّ، وأتمهنَّ خلقًا، وأحسنهنَّ محاورة، فلما دنت منه سلَّمت عليه، وقالت: أتأذن أيُّها الأمير؟ قال: نعم. فأنشأت تقول:

أحجَّاج إن الله أعطاكَ غايةً يقصر عنْها منْ أرادَ مداها
أحجَّاج لا يفْللْ سِلاحكَ إنَّما المنايا بكفِّ الله حيث يراها

حتى أتت على آخرها.

فقال الحجاج لمن عنده: أتدرون من هذه؟ قالوا: ما نعرفها، ولكنا ما رأينا قط امرأة أطلق لسانًا منها، ولا أجمل وجهًا، ولا أحسن لفظًا فمن هي — أصلح الله الأمير؟ قال: هذه ليلى الأخيليَّة صاحبة توبة بن الحمير العقيلي التي يقول فيها:

فلو أنَّ ليلى الأخيليَّة سلَّمت عليَّ وفوقي ترْبَةٌ وصَفائحُ
لَسَلَّمْتُ تسليمَ البشاشَةِ أو زَقا إليها صدًى من جانبِ القبر صائحُ

ثم قال: يا ليلى أنشدينا بعض ما قال توبة فيك، فأنشدته:

نأتْكَ بليلى دارها لا تزورها وشطَّت نواها واستمرَّ مريرها
وكنت إذا ما زرْت ليلى تَبَرْقَعَتْ فقد رابني منها الغداة سُفورها

حتى فرغت من القصيدة.

فقال لها: يا ليلى وماذا رابه من سفورك؟ قالت: أصلح الله الأمير! لم يرني قط إلا متبرقعة، فأرسل إليَّ رسولًا إنه ملمٌّ بنا، وفطن الحي لرسوله، فأخذوا له واستعدوا وكمنوا، ففطنت لذلك من أمرهم، فلمَّا رأى ذلك أنكره، فلم يزد على أن سلم وانصرف.

فقال الحجاج: لله درُّك يا ليلى، فهل كان بينكما ريبةٌ قط؟ قالت: لا والذي أسأله أن يصلحك إلا أنه مرة قال قولًا، فأظنه أنه خضع لبعض الأمر فقلت:

وذي حاجةٍ قلنا له: لا تبح بها فليس إليها ماحييت سبيلُ
لنا صاحبٌ لا ينبغي أن نخونه وأنت لأخرى صاحبٌ وخليلُ
تخالكَ تهوى غيرها فكأنما لها من تَظنِّيها عليك دليلُ

فما كلمني بعد ذلك بشيء حتى فرَّق بيني وبينه الموت.

قال: فما كان حديثكما بعد ذلك؟ قالت: لم يلبث أن قال لصاحبٍ له: إذا أتيت الحاضر من بني عبادة فقل بأعلى صوتك:

عفا الله عنها هل أبيتنَّ ليلةً من الدهر لا يسري إليَّ خيالها

فلما سمعت الصوت خرجت، فقلت:

وعنْه عفا رَبي وأَصْلحَ حالهُ فعزَّ علينا حاجةٌ لا ينالها

ثم لم لبث أن قتل.

قال: فأنشدينا بعض مراثيك إياه، فأنشدته قصيدًا كثيرًا، فكان مما أنشدته قصيدتها التي تقول فيها:

كأنَّ فتى الفتيان توبةَ لم يُنخْ قلائص يفْحصْنَ الحصى بالكراكرِ

فلما أتمتها قال رجل من القوم: والله ما أظنُّه بلغ عشر ما وصفتهِ به. فنظرت إليه ليلى، وقالت: أصلح الله الأمير، إن هذا المتكلم لو رأى توبة لسرَّه ألا يكون في داره عذراء إلا وهي حبلى من توبة.

فقال الحجاج: هذا والله الجواب الحاضر، وقد كنت غنيًّا عنه. ثم قال لها: ما حاجتك؟ قالت: حاجتي أن تحملني إلى قتيبة والي خراسان على البريد، فحملها فاستظرفها قتيبة، ووصلها ثم رجعت، فماتت بساوة فقبرها بها.

أخبرني محمد بن أبي الأزهر، قال: حدثنا محمد بن يزيد النحويُّ، قال: رُوي أن ليلى الأخيليَّة قدمت إلى الحجاج فأنشدته:

إذا وردَ الحجاج أرضًا مريضةً	تَتبَّع أقصى دائها فشفاها
شفاها من الداء العضال الذي بها	غلامٌ إذا هزَّ القناة ثناها

قال: أتقولين غلام؟ قولي همام. ثم قال لها: أي نسائي أحب إليك أن أنزلك عندها؟ قالت: ومن نساؤك أيها الأمير؟ قال: أم الجلاس بنت سعيد بن العاص الأمويَّة، وهند بنت أسماء بن خارجة الفزاريَّة، وهند بنت المهلَّب بن أبي صفرة العتكيَّة. قالت: القسيَّة أحب إليَّ، فلما كان الغد دخلت عليه، فقال: يا غلام أعطها خمسمائة. فقالت: أيها الأمير اجعلها أدمًا. فقال قائل: إنما أمر لك بشاء. فقالت: الأمير أكرم من ذلك. فجعلها ابنًا إناثًا استحياءً، وإنما كان أمر لها بشاء أولًا. الأدم: البيض من الإبل وهي أكرمها.

أخبرني علي بن عبد الرحمن عن علي بن يحيى الأطروش بن إسحاق عن أيوب بن عباءة، قال: حدثني الهيثم بن عدي، قال: دخلت ليلى الأخيليَّة على الحجاج، فقال لأصحابه: ألا أخجلتها لكم؟ قالوا: بلى. قال: يا ليلى. قالت: لبيك أيها الأمير. قال: أكنت تحبين توبة بن الحمير؟ قالت: نعم، أيها الأمير، وأنت لو رأيته لأحببته.

وحدثني أحمد بن محمد الجوهري، قال: حدثنا العنزيُّ، حدثنا أبو السائب بن سلم بن جنادة، قال: حدثنا إبراهيم بن يوسف بن معمر التيمي، قال: حدثنا خالد بن سعيد بن عمرو بن سعيد، قال: أخبرني أبي، قال: جاءتنا ليلى الأخيليَّة، فقالت: إني أريد أن أمدح الحجاج. فأدخلناها إليه، فقالت:

لقد وجد الحجاج أرضًا مريضةً	فطبَّق أعلى دائها فشفاها
تتبَّعها الداء العضال الذي بها	غلامٌ إذا هزَّ القناة ثناها

فقال الحجاج: يا خيليَّة اجعليني همامًا، لاتجعليني غلامً.

ثم قال: على من أنزلك من نسائي؟ قالت: اذكر لي نساءك. قال: عندي بنت سعيد بن عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد، وعندي أم سلمة بنت عبد الرحمن بن سهيل بن عمرو،

وعندي بنت المهلب بن أبي صفرة، وعندي بنت أسماء بن خارجة الفزاري، فاختارت بنت أسماء بن خارجة؛ لقرابتها منها، فنزلت عليها.

وحدثني محمد بن أحمد الوزيري قال: حدثنا محمد بن العباس، قال: حدثنا الخليل بن أسد النوشجاني، حدثني حفص بن عمر العمري، عن الهيثم بن عدي، قال: أخبرنا أبو يعقوب الثقفي، عن عبد الملك بن عمير، قال: حدثني محمد بن الحجاج بن يوسف، قال: بينما الأمير جالس — يعني: الحجاج — إذ استأذنت ليلى، فقال الحجاج: ومن ليلى؟ فقيل: الأخيليَّة، قال: صاحبة توبة، أدخلها. فدخلت امرأة طوال، دعجاء العين، حسنة المشية، حسنة الثغر، فسلمت فرحب بها الحجاج، فدنت فقال الحجاج: وراءك، ضع لها وسادة يا غلام، فجلست، فقال: ما أعملك إلينا؟ قالت: السلام على الأمير، والقضاء لحقه، والتعرض لمعروفه. قال: كيف خلفت أهلك؟ قالت: تركتهم في حالة خصب وأمن ودعة. أما الخصب ففي الأموال والكلأ، وأما الأمن فقد آمنهم الله بك، وأما الدعة فقد خامرهم من خوفهم ما أصلح بينهم. ثم قالت: ألا أنشدك أيها الأمير؟ قال: إذا شئت. فقالت:

أحجاج لا يُفلَلْ سلاحك إنما ... المنايا بكف الله حيث يراها
إذا هبط الحجاج أرضًا مريضًة ... تتبع أقصى دائها فشفاها
شفاها من الدَّاء العُضال الذي بها ... غلام إذا هز القناة سقاها
سقاها فروَّاها دماء غزيرةً ... دماء رجال حيث قال حَشاها

ويروى: فراوها بصوب سجاله دماء رجال. وشرب سجال، وقال: يقيل.

إذا سمع الحجاج صوت كتيبة ... أعدَّ لها قبل النزول قِراها

ويروى:

وإن سمع الحجاج زحف كتيبة ... أعدَّ لها قبل الصباح قراها
أعدَّ لها مصقولة فارسيَّة ... بأيدي رجال يحلبون ضَراها
أحجاجُ لا تعط العداة مناهمُ ... ولا الله لا يعطي العداة مناها
ولا كل خطَّاف تقلَّد بيعة ... بأعظم عهد الله ثم شراها

فما ولد الأبكار والعَوْن مثله ببحرٍ ولا أرض يجفُّ ثراها

فقال الحجاج ليحيى بن منقذ: لله بلاؤها ما أشعرها! قال: ما لي بشعرها علم. قال: عليَّ بعبيد بن موهب — وكان حاجبه — قال: أنشديه، فأنشدَته، فقال: هذه الشاعرة الكريمة قد وجب حقها. قال: ما أغناها عن شفاعتك! يا غلام. مر لها بخمسائة درهم واكسها خمسة أثواب، أحدها كساء خز، وأدخلها على ابنة عمها هند بنت أسماء بن خارجة، وقل لها: صليها. فقالت: أصلح الله الأمير أضر بنا العريف في الصدقة وقد جربت إبلنا وتكسرت قلوبنا، وأخذ خيار المال. قال: اكتبوا لها ابن الحكم بن أيوب فليبتع لها خمسة أجمال، وليجعل أحدها نجيبًا، واكتبوا إلى صاحب اليمامة يعزل العريف. قال ابن موهب: أصلح الله الأمير أأصلها؟ قال: نعم، فوصلها بأربعمائة درهم، ووصلتها هذه بثلاثمائة درهم، ووصلها محمد بن الحجاج بوصفين. قال الهيثم بن عدي: ولم أسمع أنا من حماد. قال: لما فرغت ليلى من شعرها أقبل الحجاج على جلسائه، فقال: أتدورن من هذه؟ قالوا: لا، والله ما رأينا امرأة قط أفصح، ولا أبلغ، ولا أحسن إنشادًا منها. فمن هي؟ قال: ليلى الأخيليَّة صاحبة توبة بن حمير، ثم أقبل عليها، فقال: بالله يا ليلى أرأيت من توبة أمرًا تكرهينه، أو سألك شيئًا يعاب؟ قالت: لا، والذي أسأله المغفرة ما كان ذلك منه. فقال: أما إذا لم يكن فيرحمنا الله وإياه.

وأخبرني عبد الله بن يحيى، قال: أخبرني محمد بن جعفر العطار، قال: حدثنا ابن أبي سعد، قال: حدثني أحمد بن رشد بن خثيم الهلالي قال: حدثني هاشم بن محمد الهلالين، قال: حدثني أيوب بن عمرو، عن رجل من بني عامر يقال له: ورقا قال: كنت عند الحجاج بن يوسف، فدخل الآذن، فقال: أصلح الله الأمير، امرأة بالباب تهدر كما يهدر البعير النادُّ. قال: أدخلها. فلما دخلت نسبها، فانتسبت له، فقال: ما أتاني بك يا ليلى؟ قالت: إخلاف النجوم، وكلب البرد، وشدة الجهد فكنتَ لها بعد الله الرد. قال: فأخبريني عن الأرض؟ قالت: الأرض مقشعرة، والفجاج مغبرة، وأصابتنا سنون مجحفة مظلمة لم تدع لنا متبعًا، ولا ربعًا، ولا عافطة أهلكت الرجال، ومزقت العيال، وأفسدت الأموال، وأنشدته قولها:

أحجاج لا تشلل يمينك إنما

... وذكر الأبيات.

فالتفت الحجاج إلى أصحابه فقال: هل تعرفون هذه؟ قالوا: لا، قال هذه ليلى الأخيليَّة التي تقول:

نحن الأخايل لا يزال غلامنا　　حتى يدِبَّ على العصا مذكورا
تبكي الرماح إذا فقدنَ أكُفَّنا　　جزعًا وتلفينا الرفاق بحورا

ثم قال لها: يا ليلى أنشديني بعض شعر توبة. قالت: وأي شعر أحب إليك؟ قال لها:

نأتْكَ بليلى دارُها لا تزورُها　　وشطَّت نواها واستمرَّ مريرها
يقول رجالٌ: لا يضيرك نأيُها　　بلى كلُّ ما شفَّ النفوسَ يَضِيرُها
أليس يضير العينَ أن تُكثر البكا　　ويُمنع منها نومُها وسرورها
وكنتُ إذا ما جئتُ ليلى تبرْقَعتْ　　فقد رابني منها الغداةَ سُفُورها
وقد رابني منها صدودٌ رأيتهُ　　وإعراضُها عن حاجتي وبسورُها

ما الذي رابه من صدودك يا ليلى؟ قالت: أصلح الله الأمير إنه لم يرني قط إلا مبرقعة فأرسل لي رسولًا أنه ملم بنا، وفطن الحي برسوله فلما رأيته سفرت. فلما رأى ذلك انصرف. فقال: قاتلك الله يا ليلى فهل كان بينكما ريبة قط؟ فقالت: أصلح الله الأمير لا، إلا أنه قد قال مرة قولًا عرفت أنه قد خضع لبعض الأوامر، فقلت له:

وذي حاجةٍ قلنا له: لا تَبحْ بها　　فليس إليها ما حييتَ سبيلُ
لنا صاحِبٌ لا نَبْتَغي أن نخونَهُ　　وأنتَ لأخرى فارْعَ ذاك خليلُ

قال: فما كان بعد ذلك؟ قالت: قال لصاحب له: إذا أتيت الحاضر من بني عبادة بن عقيل فاهتف به:

عفا الله عنها هل أبيتنَّ ليلةً　　من الدهر لا يسري إليَّ خيالها

فناديت:

وعنْه عفا رَبِّي وأَصْلحَ بالهُ فعزَّ علينا حاجَةٌ لا يَنالُها

قال: فأنشدينا بعض شعرك فيه. فأنشدته:

لعمركَ ما بالموت عار على الفتى إذا لم تصبه في الحياةِ المعاير
وما أحَد حَيٌّ وإن كان سالمًا بأخلدَ ممَّن غيَّبتْهُ المقابِر
فلا الحي مما استحدث الدهر مُعْتبُ ولا الميت إن لم يصبر الحي ناشر
وكل جديد أو شباب إلى بلًى وكل امرئ يومًا إلى الموت صائر
قتيل بني عوْفٍ فيا لهفتي له وما كنتُ إياهم عليه أحاذر
ولكنني أخشى عليه قبيلة لها بدروب الشام بادٍ وحاضر

قال: فقال الحجاج لحاجبه: اذهب بها اقطع عني لسانها. قال: فدعا لها الحجام؛ ليقطع لسانها، فقالت: ويلك إنما قال لك الأمير اقطع لساني بالعطاء والصلة، فارجع إليه فاسأله قال: فرجع إليه فاستشاط عليه، وهمَّ بقطع لسانه. ثم أمر بها فأدخلت عليه، فقالت: كاد العلج أيها الأمير يقطع مقولي وأنشدته:

حجاجُ أنت الذي ما فوقه أحد إلا الخليفةُ والمستغفر الصمد
حجاج أنت شهاب الحرب إذ لقحت وأنت للناس نور ضوءه يَقِدُ

وحدثني محمد بن أحمد الكاتب، قال: حدثنا أحمد بن يحيى النحوي، قال: حدثنا عبد الله بن شبيب، قال: دخلت ليلى الأخيليَّة على الحجاج بن يوسف وهو في السفينة يريد البصرة فقال لها: ما جاء بك يا ليلى؟ قالت: كلب البرد، وشدة الجهد، وكان إليك بعد المفر. قال: ياليلى، كيف تركت الناس؟ قالت: الفجاج مغبرة، والأرض مقشعرة، والناس مسنتون، ورحمة الله يرجون، ثم أنشدته:

إذا هبط الحجاجُ أرضًا مريضةً تتبعَ منها داءها فشفاها

فنظر الحجاج إلى مولى له قائد البخاريَّة، فقال: اذهب بهذه العجوز إلى يزيد، فقل له: أعطها ألف دينار، واقطع عني لسانها. فلم يفهم البخاري إلا قطع اللسان، فقال ذلك ليزيد، فدعا بالحجام، فقالت: وما تريد؟ قال: أقطع لسانك. قالت: ويلك! أمر لي بالعطاء. قال: ومر بها عتبة بن سعيد فنادته، فقال: ويلك! لا تعجل أنا رسوله إليك، ثم دخل على الحجاج فأخبره، فقال: عليَّ بها فلما دخلت قالت: كاد العلج — أماته الله — أن يقضب مقولي، وأنشدته:

حجاج أنت الذي ما فوقه أحد

... وذكر البيتين.

فقال لها الحجاج أين تريدين؟ أترجعين إلى بلدك، وأجهزك؟ قالت: لا، أريد الباهلي تعني: قتيبة. فخرجت إلى قتيبة فماتت بالري، أو بدون الري.

وروى علي بن المغيرة الأثرم أنه سمع الأصمعي يقول: إن الحجاج أمر لليلى بعشرة آلاف درهم، وقال لها: هل لك من حاجة؟ قالت: نعم — أصلح الله الأمير — تحملني إلى ابن عمي قتيبة بن مسلم، وهو على خراسان يومئذ، فحملها إليه فأجازها، وأقبلت راجعة تريد البادية، فلما كانت بالري ماتت، فقبرها هناك.

وحدثني أبو عبد الله الحكيمي، قال: حدثنا أحمد بن أبي خيثمة عن نصر بن علي الجهضمي، عن بعض البصريين، قال: لما أتت ليلى ابنَ قتيبة جفاها، فقالت: ردني إلى ابن عمي. فردها، فلما صارت بساوة ماتت. وإنما قالت للحجاج ابن عمي؛ لأنها من هوازن من بني عقيل، والحجاج من بني قسي بن منبه بن بكر بن هوزان.

قال أحمد: أخبرنا عبد الله بن أبي كريم عن أبي عمرو الشيباني: أن ليلى لما حملها الحجاج إلى قتيبة بخراسان على البريد استظرفها قتيبة ووصلها، ثم رجعت، ثم ماتت بساوة فقبرها بها.

آخر أخبار ليلى

أخبرنا ابن دريد، قال: أخبرنا أبو عثمان الأشنانداني عن التوزي، عن أبي عبيدة، قال: كانت ريا بنت الأعرف إحدى بني عقيل، عند ثروان بن السميع، وهو رجل من قومها.

وكان شيخًا أعشى، كثير شعر الرأس والوجه. فرقد يومًا في بيتها وهي قاعدة بين يديه، فأنشأت تقول: بنو عقيل:

من يشتري مِني زوجًا خَبا
أخبُّ من ضبٍّ يداهي ضبا
كأنَّ منه الحاجِبَ الأزبَّا
قنَيْفِذ بقنْفذٍ أدَبَّا
كأنَّ خصْيَيْهِ إذا أكبا
فرَّوجتان تلقطان حَبا

فأجابها ثروان، فقال:

أوسعتني عرامةً وَسَبا
يا ربِّ أركسه لها يا رَبا
فاقدر لها أربد مسْلحِبا
تخالُ ما استقْدم منه ضبًّا
وما سواه وَرَلًا مُهْتبا
يفرِغ في عرقوبِها المكْرَبا
مجاجَ نابين إذا ما أكرَبا
في جسمها زايل إربٌ إربا

أخبرني محمد بن يحيى، قال: حدثنا المغيرة بن محمد المهلبي سنة أربع وسبعين ومائتين، قال: حدثنا عبد الله بن محمد التوزي، قال: أنشدني أبو زيد سعيد بن أوس الأنصاري لامرأة من بني عقيل، قال محمد: وغير أبي زيد ينشده لغيرها:

أخبرتني يا قلب أنَّك ذاهل   لليلى فذقْ ما كنتَ قبل تقول
ومنيتني حتى إذا ما تقطعتْ   قوًى من قوًى اعوَلتَ دامَ عويل

وغير التوزي ينشده على الأقواء: أي عويل.

وإن سأل الواشون عنها فقل لهم   وذاك عطاء للوشاةِ جزيل
ملمٌّ بليلى ساعةً ثم إنه   لهاجِر ليلى بعدها فمطيل

أخبرنا ابن دريد، قال: أخبرنا أبو الحاتم عن الأصمعي، قال: تزوج رجل من بني عقيل امرأة منهم، فدخل يومًا وهي تمثل بيت غزل فقال لها: ما هذا الذي تتمثلين به، لعلك عاشق؟ قالت: لا، ولكن أبيات حضرتني. فقال: لئن سمعتك إلى مثل هذا لأوجعن ظهرك وبطنك. فأنشأت تقول:

فإنْ تضربُوا ظهري وبطني كليهما   فليس لقلبٍ بين جنبيَّ ضَارب
يقولون: عَزِّ النفسَ عمنْ توده   وكيف عزاء النفس والشوق غالب؟

فطلَّقها.

أخبرني أبو عبد الله الحكيمي، قال: حدثنا أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي، قال: قالت امرأة من بني عقيل كانت نازلة في عكل، فهجت قومًا غزوهم، أو رجلًا غزاهم.

يابنَ الدَعي إنهم عكل فقِفْ   لتعلمنَّ اليومَ إنْ لم تنصرفْ
إن اللئيمَ والكريمَ مختِلفْ

حدثني محمد بن أحمد الكاتب، قال: حدثني أحمد بن أبي خيثمة، قال: أخبرنا مصعب بن عبد الله الزبيري، قال محمد: وحدثنا محمد بن يحيى بن الزبير بن بكار: أن امرأة من بني عقيل كان أهلها مجاورين لبني النمير، وكان لها تربان قد ألفتهما، فلما أراد أهلها الترحل أنشأت تقول:

أتِرْبيَّ من عليا نميرِ بنِ عامرٍ   أجدًّا البكا أن التفرُّقَ باكِر
أتِرْبيَّ عاقتنا نوًى عن نواكم   وشِعْب نوًى قد بان لي متشاجِر
ألا تريان البرقَ بانَ كأنه   دواضِح شُعْرٌ تُتقى بالحوافر
فما مكثنا دامَ الجمال عليكما   بثهلانَ إلا أنْ تزمَّ الأباعر

وحدثني أبو عبد الله الحكيمي، قال: حدثنا أحمد بن أبي خيثمة، قال: أخبرني مصعب بن عبد الله، قال: جاءني زبير يدعونني من غداة يومنا، فقلت له: اجلس نستمع منك؛ فإني ذكرت أبيات العقيلية:

أتِرْبيَّ من عليا نمير بن عامرٍ   أجدًّا البكا أن التفرق باكر

قال: فقال لي زبير: قد ذكرتني هذه أيضًا فراقنا بالبيت الرابع من شعرها:

فما مكثنا دام الجمال عليكما   بثهلانَ إلا أنْ ترَدَّ الأباعِر

أخبرني الصولي، قال: حدثنا علي بن الصباح، قال: أنشدنا أبو محلم لهنيدة الخفاجية في ابنها المضاء:

يا رَب من عابَ المضاء أبدا   فاحرِمه أمثالَ المضاءِ وَلدا
كأنَّ عينيه إذا توَقَّدا   وأخَذَ المُنصلَ ثم استأسدا
عيْنا قطامي من الطير غدا   يَنفض عنه بجناحيه الندى

القطامي: الصقر، وهو أحدُّ الجوارح نظرًا وأبعده، ومنه قول امرئ القيس:

رمتني بعيني جؤذر وَرَميتها   بعيني قطاميٍّ على مرقبٍ عالِ

وجدت بخط حرمي: عن ابن المرزبان لماوية العقيليَّة في ابن عم لها يقال له: كثير، وكانت تحبه:

ألمَّ كثير لمةً ثم شمرَتْ   به خِلة يطلبن برْقًا يمانيا
ألا ليتنا والنفس تصبر بالمنى   يمانونَ إذ أضحى كثير يمانيا

قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر

أخبرنا ابن دريد: قالت بنت بجير بن عبد الله القشيري، ترثي أباها المقتول يوم المروت، وهو يوم العنابين:

نهُوضًا حين تعتمد الرزايا	ذَوي الأفعالِ بالعبءِ الثقيل
فما كعب بكعبٍ إن أقامت	ولم تثأر بفارِسِها القتيل
وَذَحلُهم يناديهم مقيمًا	لدى الكدَّام طلَّابِ الذحولِ

الكدام: هو يزيد بن أزهر بن عبد الله المازني وكان أسر بجيرًا.

وكتب إليَّ أحمد بن عبد العزيز، قال: أخبرنا عمر بن شبة، قال: قتل قنعب بن عتاب اليربوعي بجيرَ بن عبد الله بن سلمة بن قشير، فقالت بنت بجير ترثي أباها بهذه الأبيات …

أخبرنا إبراهيم بن محمد بن عرفة النحوي، قال: أخبرنا أحمد بن يحيى، قال: أخبرنا سعدان بن المبارك عن أبي عبيدة، قال: قالت الفارعة بنت معاوية من بني قشير تعير كلابًا بمشاطرتهم الأحاليف سباياهم يومئذ:

منا فوارِس قاتلوا عن سبِيهم	يومَ النسارِ وليسَ منا أشطر
ولبئسَ ما نصرَ العشيرةَ ذو لحًى	وحفيف نافحةٍ بليلٍ مسهِر

ذو لحى: ذو اللحية بن عامر بن عوف بن كعب بن أبي بكر بن كلاب. ومسهر: ابن عبد قيس بن ربيعة بن كعب بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب.

ضُبعا هِراشٍ تعفِرانِ استيهما   فرأتهما أخرى فقامَت تعفِر

تعفران: تمسحان استيهما بالعفر، وهو التراب.

حاشا بني المجنونِ أن أباهم   صات إذا سطعَ الغبار الأكدر

صات: له صوت في الناس، ورحل صيت: شديد الصوت، وبنو المجنون: ابن أبي بكر بن كلاب.

لولا بنو بنت الحريش تقسَّمت   سبيَ القبائل مازن والعنبر

بنو بنت الحريش: هم خويلد بن نفيل بن عمرو بن كلاب، أمهم: ريطة بنت الحريش بنت كعب.

زعمتْ بُزوخُ بني كلابٍ أنَّهم   هزموا الجميع وأنَّ كعبًا أدبروا

البزوخ: الذي يخرج بطنه ويدخل ظهره وهو من الجبن.

كذبتْ بُزوخُ بني كلابٍ أنها   تأتي الضراء وبَظْرُها يَتَقطرُ

وكتب إليَّ أحمد بن عبد العزيز، قال: أخبرنا عمر بن شبة، قال: إنه سبى من بني بيت كلاب سبيًا يوم النسار، وأن بني كلاب سألوه أن يتجافى لهم عن شطر السبي ويسلموا الشطر، فقالت الفارعة بنت معاوية القشيرية تعير بني كلاب بما فعلوا:

منا فوارس قاتلوا عن سبيهم

... وذكر الأبيات.

أنشدنا ابن دريد، قال: أنشدني عبد الرحمن، يعني: ابن أخي الأصمعي، عن عمه، لامرأة من بني قشير تهجو ابنها:

وهبته مُرتهِشًا جواعِرُه أرْسَغَ لا يشبع منه طائره
مثل اختلفت تامِره (أحدًا) إذا ما قربتْ أباعره

كتب إليَّ أحمد بن عبد العزيز، أخبرنا عمر بن شبة، قال: قالت الفارعة بنت معاوية القشيرية في يوم النسار:

شفى الله نفسي من معشر أضاعوا قدامة يومَ النسارِ
أضاعوا فتًى غير جَثامةٍ طويلَ النجادِ بعيدَ المغارِ
يُثني الفوارسَ عن رمحه بطَعْنٍ كأفواه لهبِ المِهارِ
وفرَّت كلابٌ على وجهها خلا جعفرٍ قبلَ وجهِ النَّهارِ

كتب إليَّ أحمد بن عبد العزيز، أخبرنا عمر بن شبة عن محمد بن حرب الهلالي قال: أتت امرأة من بني قشير خالد بن عبد الله القسري، فقالت:

إليك يابن السادةِ الأماجدِ يعمدُ في الحاجة كلَّ عامدِ
فالنَّاسُ بين صادرٍ ووارِدِ مثلَ حَجيج البيت نحو خالد
أشْبَهتَ يا خالد خيرَ والدِ أشْبَهْتَ عبدَ الله بالمحامد
ليسَ طريفُ المجْدِ مثلَ التالدِ ... ...

حدثني إبراهيم بن محمد العطار عن الحسن بن علي العنزي، قال: حدثني محمد بن زكريا اللؤلؤي، قال: حدثني العباس بن بكار الضبي أبو وليد، قال: حدثني عيسى بن يزيد عن صالح بن كيسان، قال محمد: وحدثنا عبد الله بن الضحاك الهدادي، حدثني هشام بن محمد بن السائب عن أبيه، عن أبي صالح، قال: كانت ضباعة بنت عامر بن قرط بن سلمة بن قشير، وهو الذي يقال له: سلمة الخير. وأمه من بجيلة، وأخوه يقال له: سلمة الشر. أمه تحيا بنت كلاب بن ربيعة. فزوجها هوذة بن علي الحنفي الذي كان يمدحه الأعشى، فسماه في الشعر: الوهاب، فمات عنها وأصابت منه مالًا كثيرًا، فرجعت به إلى بلادها، فخطبها بجير بن عبد الله بن سلمة بن قشير فلم تزوجه، وهو ابن عمها.

فخطبها عبد الله بن جدعان التيمي إلى أبيها فزوجه إياها، ووعد ابن جدعان أن لا يعصيه في أمرها، وأنه يكون بحيث تحب من أمرها. فقال بجير: حيث أهديت إلى ابن جدعان:

لنِعْمَ الحيُّ لوْ تربع عليهم ضُباعَةُ يومَ مُنْقَى اللحْمِ غالِ
ونِعْمَ الحيُّ حيُّ بني أبيها إذا قُرع المقانبُ بالعوالي
أقومٌ يقتنون الإبل تَجرًا أحَب إليكِ أمْ قَوم حِلال؟

فتزعم بنو عامر أنها قالت: بل قوم حلال.

قال هشام عن أبيه: إنها لما هلك عنها هوذة، ورجعت إلى بلادِها، خطبها عبد الله بن الجدعان إلى أبيها، فزوجه إياها. فأتاه ابن أخ له يقال له: حزن بن عبد الملك بن قرط، فقال: زوجني ضباعة.

قال: قد زوجها عبد الله بن جدعان، فحلف ابن أخيه لا يصل إليها أبدًا وليقتلنها، فكتب أبوها إلى عبد الله بن جدعان يذكر له هذا من أمرها، فكتب إليه عبد الله: لئن فعلت لأنصبن لك راية غدر بسوق عكاظ، فقال أبوها لابن أخيه: قد جاء من الأمر ما لابد من الوفاء لهذا الرجل. فجهزها وحملها إليه وركب حزن في أثرها وأخذ الرمح فتبعها حتى انتهى إليها فوضع السنان بين كتفيها فقال:

أقوم يقتنونَ الإبل تَجرًا أحبُّ إليك أم حي حُلولُ؟

قالت: بل قوم حلول. قال: أما والله، ولو قلت غير ذلك لأخرجت السيف من بين كتفيك، وانصرف عنها، فأهديت إلى ابن جدعان، فكانت عنده ما شاء الله أن تكون، فبينما هي تطوف الكعبة، وكان لها جمال وشباب، فرآها هشام بن المغيرة فكلمها عند البيت وقال لها: وقد رضيت أن يكون هذا الشباب والجمال عند شيخ كبير؟! ولو سألتِه الفراق لتزوجتك، وكان هشام جميلًا مكثرًا، فرجعت إلى جدعان فقالت: إني امرأة شابة وأنت شيخ كبير، قال: ما بدا لكِ في هذا، فقد بلغني أن هشامًا كلمك وأنت تطوفين في البيت، وأنا أعطي الله عهدًا ألا أفارقك؛ حتى تحلفي ألا تتزوجي هشامًا، فيوم تفعلين فعليك أن تطوفي في البيت عريانة، وأن تنحري مائة من الإبل، وأن تغزلي وبرًا بين الأخشبين من مكة، وأنت من الحمس لايحل لكِ أن تغزلي الوبر. فأرسلت إلى هشام:

إنه قد أخذ عليَّ أشياء إذا تزوجتك.

فأرسل إليها:

أما ما ذكرت من الطواف في البيت عريانة، فأنا أسأل قريشًا أن يخلو لك المسجد، فتطوفين بعد الفجر بسدفة ولا يراك أحد.
وأما الإبل فلك الله أن أنحرها عنك.
وأما تغزلين وبرًا فهذا كان يصنعه نفر من قريش فيوفون بنذرهم.

فقالت لابن جدعان: نعم، ذلك عليَّ، فطلقها فتزوجها هشام.

قال العباس: فحدثني أبو بكر الهذلي أن أباها قدم عليها، فشكت إليه، وكنت عن النكاح، وكان ابن جدعان قد بلغ سنًّا مع توسع عليه في المال والخلق فذكره، وقالت: ائذن لي فأخرج في جنازته فنعم زوج الغريبة. قال: أجل والله والقريبة، فأذن لها. وأسلمت ضباعة وكانت من النسوة اللاتي أسلمن مع النبي ﷺ فمات عنها هشام، ثم إن النبي ﷺ خطبها، فقالت: أتزوج بهذا الفتى بعد مشيخة قريش، وأبت، فبلغ الخبر ابنها سلمة، فانحدر إلى مكة، وكان جلدة بين عينيها، فقال: لا أشهد لكِ لا خيرًا ولا شرًّا؛ أخطبك رسول الله ﷺ، فرددت عليه ما قد علمت؟ فقالت: إنما كنت أكره ذلك لك، فأما إذا أحببت ذلك فشأنك، فأتى رسول الله ﷺ وهو في مجلسه، فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، القطيفة التي طلبتها لم أزل في ذلك حتى سهل الله أمرها. فقال رسول الله ﷺ ثلاث مرات: «بارك الله عليها قد هيأ الله وييسر قطيفة غيرها.»

وأما الكلبي فقال: خطبها رسول الله ﷺ إلى ابنها سلمة، فقال: حتى أستأمرها.

فأتاها فأخبرها، فقالت: ويلك فما قلت له؟ قال: قلت حتى أستأمرها. قالت: تستأمرني في رسول الله ﷺ قبح الله رأيك — ارجع لا يكون بدًّا له، وقد ذكر للنبي ﷺ أنها قد تغيرت عما كان عهد، فأخبره أنها رضيت، فأعرض النبي ﷺ عن ذكرها.

وكتب إليَّ أحمد بن عبد العزيز، أخبرنا عمر بن شبة، قال: قالت ضباعة بنت عامر بن قرط بن سلمة الخير بن قشير ترثي زوجها هشام بن المغيرة، وكانت قد أسلمت وولدت لهشام سلمة:

إنك لو وألتَ إلى هشام	أمنتَ وكنتَ في حرم مقيم
كريم الخِيم خفاق حشاه	ثمال لليتيمة واليتيم
ربيع الناس أروع هبزري	أبي الضيم ليس بذي وصوم

أصيل الرأي ليس بحيدري ولا نكد العطاء ولا ذميم
ولا خذالة إن كان كون ذميمٍ في الأمور ولا مليم
ولا متبرع بالسوء فيهم ولا قذع المقال ولا غَشوم
فأصبح ثاويًا بقرار رَمس كذاك الدهر يَفجع بالكريم

قال: وقالت حين هاجر ابنها سلمة إلى النبي ﷺ:

نمى به إلى الذرى هشام قدمًا وآباء له كرام
جحاجح خضارم عظام من آل مخزوم همُ النظام
والرأس والهامة والسنام ... ...

العجلان

هو عبد الله بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وقيل: هو العجلان بن عبد الله بن كعب بن ربيعة.

كتب إليَّ أحمد بن عبد العزيز، أخبرنا عمر بن شبة، قال: أخبرني أبو بكر الباهلي، قال: خلت أم الورد العجلانية برجل، فقالت:

هل أنت مطيعي يا نميريُّ مرة ... وتعصيني غدرًا إذا طلع الفجر

فتجعلها دنيا نعيش بظلها ... فلا عين إلا العيس والِبلد القفر؟

وجدت بخط حرمي بن أبي العلاء: قال كندة بن خالد العجلاني لهند بنت الغطريف العجلانية:

سلي حائلًا عني عشية يذبل ... فقد راءَ مما قد لقيت يقين

عشية قالوا: جُنَّ سبحان ربنا ... وما بي وربِّ الراقصات جنون

فأجابته هند:

لعمركَ لو كانت عصاك صليبةً ... وكُنتَ بظهْرِ الغَيبِ غَيرَ ظَنينِ

لما طَفِقَ الأعداءُ يَنْتضلوننا ... ويأتوننا من أشملٍ ويمينِ

ولكنَّها كانتْ عصا خيزرانةٍ ... إذا قُلبتْ بين الأكف تلين

وقالت أم الورد العجلانيَّة:

ربَّ غلامٍ قد صرى في فقْرتهْ
ماء الشباب عنفوانَ شدَّتهْ
يمشي بعرْدٍ قد دنا من ركْبتهْ
أقعسَ لا منْ أوَدٍ في خلقتهْ
أنْعظَ حتى استدَّ سمٌّ فقحتهْ
وارْتفعتْ خصيتُه في عانقه
وقربت عانته من سرَّتهْ
وانقلبتْ جلدةُ أعلى فرْوَتهْ
فهو إذا نضْنضه لدفعتهْ
ينشب في المسلك عند رهزته
تقاعس الضبِّ عصا في كديته

عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة

أخبرني محمد بن أحمد الكاتب، قال: أخبرنا أحمد بن أبي خيثمة، قال: أخبرنا الزبير بن بكار قال: حدثني أبو سلمى الكلابي قال: لما شهد على المغيرة بن شعبة بما شهد به عليه، كتب عمر بن الخطاب في حمله الحديد، فورد ماء عليه جارية من بني البكاء بن عامر بن ربيعة مثل الظبية مع أبيها تمتح على إبله، وهي تقول:

ليس بنا فقْرٌ إلى التَّشكِّي　　صـلادِمٌ كـحـمـرِ الأيـكِّ
لا ضرَعٌ فيها ولا مذكيِّ　　... ... ...

قال: فخطبها إلى أبيها، فقال: كيف وأنت على هذه الحال؟ قال: إن أعش فكفايتي ما قد علمت، وإن أمت أورثها الغنى، فزوجها إياه، فوقع بها على الماء مكانه.

الصلادم: الشداد، الواحد صلدم. والأيك: حمار الوحش.

كتب إليَّ أحمد بن عبد العزيز، أخبرنا عمر بن شبة، قال: كانت رملة بن كرز بن عمرو بن ربيعة بن عمرو بن عامر بن ربيعة تحت كعب بن معاوية بن عبادة بن البكا، وهو أبو هند فتوفي عنها، فخطبت بعده، فقالت:

إنِّـي والـبـعـولـةَ بـعْـدَ كـعْـبِ　　كشاري قرْمة بابن المخاضِ

مُرَّة بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن

وهم ينسبون إلى أمهم سلول.

وجدت بخط حرمي عن ابن المرزبان لأم سعد السلولية ترثي ابنها مزاحمًا، وقتله ابن الدمينة:

بأهْلي ومالي ثُمَّ جلِّ عشيرتي　　قتيلُ بني تيْمٍ بغير سِلاحِ
فهلَّا ضربتم بالسلام ابنَ أخْتِكمُ　　فتصبح فيه للسيوف جراحُ

جماعة من نساء بني عامر لم يُنسبْن

أخبرنا ابن دريد، قال: أخبرنا عثمان بن سعيد بن هارون الأشناندانى، قال: أخبرنا التوزيُّ، قال: أخبرني أبو عبيدة، قال: تزوج رجل من بني عامر بن صعصعة امرأة من قومه، وخلفها حاملًا، وخرج في بعض أمره، فولدت ابنًا، فلما نظر إليه، وإذا هو أحمر غضب، أزجُّ الحاجبين، فدعاها، وانتضى السيف، وأنشأ يقول:

لا تمْشطي رأسي ولا تفْليني   وحاذري ذا الريق في يميني
واقتربي دونكِ أخبريني   ما شأنه أحمرَ كالهجين
خالفَ ألوانَ بنيَّ الجوْنِ   ... ...

فقالت تجيبه:

إنَّ له من قِبلي أجدادًا   بِيضَ الوجوه كرُمًا أنجادا
ما ضرَّهم إن حضروا أمجادًا   أو كافحوا يوم الوغى أندادا
ألا يكون لونهم سوادا   ... ...

قلت: أنا والمفضل الضبي: ويُروى هذا الخبر للحارث بن عباد اليشكري.
كتب إليَّ أحمد بن عبد العزيز، أخبرنا عمر بن شبَّة، قال: قالت امرأة من بني عامر:

وَحرْبٍ يضِجُّ القوم من بعثاتها   ضجيجَ الجمالِ الجِلةِ الدَّبراتِ

ورواها أبو تمام الطائي في الحماسة لامرأة من بني عامر أيضًا، وقال: فيه مكان بعثاتها: نفيانها.

سيبعثها قومٌ ويصلى بحرِّها بنو نسْوةٍ للثُّكلِ مضْطبراتِ

وروى أبو تمام: سيتركها قوم.

فإن يكُ ظنِّي صادقي وهو صادقي بـكـمْ وبـأحْـلامٍ لـكـم صـفـرات

وقال أبو تمَّام: وهو صادق بكم وبأحلام لكم صفرات.

تعد منكم جزرَ الجزورِ رِماحنا وتُمسِكُ بالأكبادِ منكسرات

وقال أبو تمام: تعد فيكم جزر الجزور رماحنا ويمسكن.

أخبرنا ابن دريد، قال: حدثني عبد الرحمن يعني: ابن أخي الأصمعي، عن عمه، عن يونس قال: انصرفت من الحج فمررت بماويه، وكان لي فيها صديق من عامر بن صعصعة، قصدت إليه مسلمًا، فأنزلني. فبينما أنا وهو قاعدين بفنائه، فإذا نساء مستبشرات وهن يقلن: تكلم. فقلت: ما هذا؟ فقالوا: فتى منا كان يعشق بنت عم له، فزوجت وحملت إلى الناحية بالحجاز، فإنه لعلى فراشه منذ حول، ما تكلم ولا أكل إلا أن يؤتى بما يأكله ويشربه، فقلت: أحب أن أراه، فقام وقمت معه، فمشينا غير بعيد، فإذا به مضطجع بفناء بيت من تلك البيوت، لم يبق منه إلا خياله. فأكب الشيخ عليه يسأله وأمه واقفة، فقالت: يا مالك هذا عمك أبو فلان يعودك.

ففتح عينيه ثم أنشأ يقول:

ليبكني اليومَ أهل الود والشفقِ لم يبق من مهجتي إلا شفا رمقي
اليوم آخر عهدي بالحياة فقد أطلقت من ربقة الأحزان والقلق

ثم تنفس صعداء، فإذا هو ميت. فقام الشيخ وقمت معه فصرت إلى خبائه، فإذا جارية بضة تبكي وتفجع، فقال لها الشيخ: ما يبكيك أنت؟ فأنشأت تقول:

ألا أبكي لميتٍ شفَّ مهجته طول السقام وأضنى جسمه الكمد
يا ليت من كلَف القلب المهيم به عندي فأشكو إليه بعض ما أجد
أنشرُ برديك أسرى ليَ النسيم به أم أنت حيث يُناط السهد والكبد؟

ثم انثنت على كبدها وشهقت فإذا هي ميتة.

قال يونس: فقمت من عند الشيخ وأنا وقيذ.

كتب إليَّ أحمد بن عبد العزيز، أخبرنا عمر بن شبة، قال: أنشدني أبو صالح الشاري يحيى بن المهلهل الأسدي، لامرأة أخيه بهلول، تدعى صعبة من بني عامر أعرابية:

وقالوا: كلي الطفشيل يا صعب تسمني وشحمي على الطفشيل شحمٌ ممانح
وما أنا والطفشيل والخل والقرى وديك على رأسي من الليل صائح
فما لأبي لا أحسن الله رفده وقامت عليه المعولات النوائح

أخبرني محمد بن أحمد الكاتب، قال: أخبرنا أحمد بن أبي خيثمة عن الحرمازي، قال: كانت امرأة من بني عامر في نجعة، فكلفت بفتى منهم، فلما لاح لهم البرق، ورجع أهلها إلى مياههم قالت:

تمتعتُ من أهل الكثيب بنظرةٍ وقد قيل: ما بعد الكثيب كثيب
فإنَّ الكثيب الفرد من أيمن الحمى إليَّ وإن لم آته لحبيب
ألا حبذا ريح الغضا حين أدرست بقضبانه جنح الظلام جنوب
إذا هبَّ علوي الرياح وجدتني كأني لعلويَّاتهنَّ نسيب
ألا حبذا الأصعاد لو أستطيعه ولكن لا ما أقام عسيب

كتب إليَّ أحمد بن عبد العزيز، أخبرنا عمر بن شبَّة، قال: قالت امرأة من بني عامر:

ألا ليتَ حصنًا كان يعلم أننا خلاءٌ وأنا في المزار قريب

أرى رفضَ بعرانٍ فأحسب أنها   لحصنٍ فأدنو دنوةً فأخيبُ

أخبرني محمد بن الأزهر، قال: حدثنا محمد بن يزيد النحوي، قال: قالت: امرأة أحسبها من بني عامر بن صعصعة زوجت في طي:

لا تحمدن الدهر أختٌ أخًا لها   ولا ترثين الدهر بنتٌ لوالدِ
هم جعلوها حيث ليست بحرةٍ   وهم طرحوها في الأقاصي الأباعدِ

كتب إليَّ أحمد بن عبد العزيز، أخبرنا عمر بن شبة، قال: قال رجل: مررت ببلاد بني عامر بعجيز قد خرفت وحولها نسيات قد أطفن برجل يجود بنفسه، والعجوز تقول: أيا ملك الموت دعْ لي صعصعًا، فإنه ثمرة فؤاديه، فإن أبيت فخذ من أعمار من ترى ما شئت، ثم تقبل على النسيات فتقول: أتسلمن؟ فيقلن: نعم والله، وليزد ما شاء، ثم تبكي مريضها، وتقول:

كأنك لم تذبح لأهلك نعجةً   ولم تلقِ يومًا بالفناء إهابها
ولم تجب البِيد التنائف تقتنص   بهاجرةٍ حِسلانها وضِبابها
فإن متَّ هدَّ الموت أبناء عامرٍ   فخصَّ بها كعبًا وعمَّ كلابها

ثم تعود، فتقول: أيا ملك الموت أرضيت أم نزيدك؟ وتقول النسوة: يا عميمتاه أرضيه وزيديه، ثم تعود فتبكيه، فتقول:

أصعصعُ ما لي لا أراك تجيبنا   أتسمع نجواناك أم لست تسمع؟
إذا غيبتك الجول عنا فلم تئوب   فمن يرقع الوهن الذي كنت ترقع
فلو كان هذا الموت يقبل فديةً   فذاك ثمانٍ مسعفاتٌ وأربع

فيقبل النسوة عليها، فيقلن: نعم، والله وأكثر.

حدثني أبو عبد الله الحكيمي، قال: حدثنا أحمد بن أبي خيثمة، عن عمر بن بكير، عن الهيثم بن عدي، عن عثمان بن عمارة بن حريم، عن أشياخ من بني مرة، وقالوا: خرج فتى منا إلى ناحية الشام والحجاز مما يلي تيماء والشراة وأرض نجد في طلب بغية له، فإذا هو بخيمة قد رفعت له، وقد أصابه المطر، فعدل إليها فتنحنح، فإذا

امرأة قد كلمته، وأنزلته، وراحت إبلهم وغنمهم، فإذا أمر عظيم كثرة ورعاء، فقالت: سلوا هذا الرجل من أين أقبل؟ قلت: من ناحية تهامة ونجد، قالت: يا عبد الله، أي بلاد نجد وطئت؟ قلت: كلها، قالت: بمن نزلت هناك؟ قلت: ببني عامر، فتنفست الصعداء، ونظرت إليها فإذا شقة قمر لم تر عيني مثلها، فقالت: بأي بني عامر؟ فقلت: ببني الحريش، فاستعبرت وبكت وانتحبت، وقالت: هل سمعت بذكر فتى يقال له: قيس يلقب بالمجنون؟ قلت: أي والله، ونزلت بأبيه وأتيته حتى نظرت إليه يهيم في تلك الفيافي ويكون مع الوحش ما يعقل ولا يفهم، إلا أن تُذكر له ليلى فيبكي وينشد الأشعار فيها. فبكت حتى ظننت — والله — أن قلبها قد انصدع، فقلت: أيتها المرأة اتقي الله. فمكثت طويلًا على حالها، ثم أنشأت تقول:

ألا ليت شعري والخطوب كثيرةٌ   متى رَحل قيس مستقلٌ فراجع
بنفسي من لا يستقلُّ برحله   ومن هو إنْ لم يحفظِ الله ضائعُ

ثم غُشي عليها، فلما أفاقت قلت: من أنت يرحمك الله؟ قالت: أنا ليلى المشئومة عليه، فما رأيت مثل حزنها وجزعها. وقال: محمد بن خلف بن المرزبان: هذان البيتان لليلى بنت مهدي بن سعد بن العامريَّة صاحبة قيس بن الملوَّح.

قلت أنا: وقد اختلف في نسب المجنون، فقيل: جعدي، وقيل: قشيري، وقيل: من بني الحريش، وقيل غير ذلك. فأما ليلى صاحبته فهي من بني عامر أيضًا، والله أعلم.

ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان عبد القيس بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار

حدثنا محمد بن الحسين بن دريد، قال: أخبرنا أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني، قال: كانت امرأة من عبد القيس بالبصرة، ولها ابن يلقب: النحيف، من بني جذيمة، وكان شريرًا ضعيفًا، وكان بها عاقًّا فقال يهجوها:

يا ليتما أمُّنا شالت نعامتها ... أيْما إلى جنةٍ أيما إلى نارِ

قَلتهمُ الوَسق مَشْدودًا أَشِظته ... كأنما وَجْهها قد سُفع بالقار

خرقاء بالخير لا تُهدَى لوجهته ... وهي صَناعُ الأذى في الأهل والجار

وكانت تعظه فلا يتعظ، فقالت:

حذار بُنيَّ البغي لا تقربنَّهُ ... حذارِ فإنَّ البغيَ وخمٌ مراتعه

وعرضِكَ لا تبذلْ بعرضك إنني ... وجدتُ مضيعَ العرضِ تُلحى طبائعه

وكم قد رأينا الدهرَ غادر باغيًا ... بمنزلةٍ ضاقت عليه مطالِعه

فلم يزل به شره، حتى وثب على ابن عم له، فأخطأ به ابن عمه على الأرض فدق عنقه فمات، فقالت كالشامتة به:

ما زال ذو البغي شديدًا هيصه
يَطْلب مَن يقهره ويَهصه
ظلمًا وبغيًا والبلاء يُنشِصُه
حتى أتاهُ قِرنُه فيقِصه
ففاد عنه خاله وعَرَصه

كتب إليَّ أحمد بن عبد العزيز، أخبرنا عمر بن أبي شبة، قال: قالت امرأة من عبد القيس تهجو قومها في محاربتهم:

لبئس حماة الحربِ يوم لقيتهم	غداة جواثا إذ تلوذون بالنخلِ
تركتم أبا المقياس تحت لوائهم	لذي الخال ذوَّاد الطعام أخي عكلِ

حدثني علي بن المروان، قال: أخبرني عمي يحيى بن علي، قال: حدثني أبو هفان قال: قالت: ولادة المهزمية:

لولا اتقاءُ الله قمتُ بمفخرٍ	لا يبلغُ الثقَلانِ فيه مَقامي
بأبوةٍ في الجاهلية سادةٍ	بزُّوا العلا أمراءَ في الإسلام
جادوا فسادوا مانعين أذاهم	لنداهمُ، بذل لدى الأقوام
قد أنجبوا في السؤددين وأنجبوا	بنجابة الأخوالِ والأعمام
من بالمخاشن وابنهِ جَون	ومن بالغز أو بالمهزمين يسامي
قوم إذا سكتوا تكلمَ مجدهم	عنهم، وأخرسَ دونَ كل كلام

روى أبو تمام الطائي في (شعر القبائل) لأخت سعد بن قرط العبدي، واسمها تنهان:

يا سَعدُ يا خيرَ أخٍ   نازَعْتُ دَرَّ الحلمَهْ

ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان عبد القيس ...

يا ذائدَ الخيلِ ومجتا بَ الدِلاصِ الدَّرِمةْ

يجتابها: يدخل فيها، والدلاص: الدرع الملساء، والدرمه: التي لا حجر لها.

سَيفكَ لا يَشقَى به إلَّا السِنادُ السَّنمةْ
يا سَعْدُ كمْ أوقدتَ للأضيافِ نارًا زَهِمَه

ويروى: خير من أوقد للأضياف، وسميت زهمة؛ لكثرة الشيِّ عليها.

يا قائد الخيل إلى الخيل تعادي أضِمَه
جادَ على قَبرِكَ غيْث من سماء رزِمَه
يُنْبِتُ نورًا أرِجًا جرجاره واليَنمَه

الجرجار، واليمنه: ضربان من البقر، والأرج: طيبة الرائحة. قال: كانوا يدعون بأن تسقى القبور الغيث؛ لتخصب فيألفها الناس، فيذكرون صاحبها بخير، ويثنون عليه ويدعون له.

أخبرني أبو ذر القراطيسي، قال: حدثني الحسين بن عبد الرحمن: أن أعرابية من بني صباح من عبد القيس أوصت ابنتها عند هدائها، فقالت:

لا تُهجري في القول للبعل ولا
تُغريه بالشَرِّ إذا ما أقبلا
فأوَّل الشر يكون جللا
محتقرًا ثم يصير معضلا
ولا تَثني ما عليه بخلا
لتكشفي من أمره ما حمِلا

وجدت بخط حرمي عن ابن المرزبان، قالت أسماء بنت مسعود بن عبد القيس تعير الزبرقان بن بدر بجاره:

تَقلدَ خزيها عوف بن كعب فليس لجلفها منا اعتذارُ
إذا وردت عكاظَ تَسمَّعوها بآذانٍ مسامِعُها قِصار
فإنكم وما تخفون منها كذات البوِّ ليس لها حوار
أجيرانَ ابن ميَّة خبروني أَعَيْنٌ لابن ميَّة أو صمارُ

حدثني أحمد بن محمد الجوهري، قال: حدثنا العنزي، قال: حدثنا إسحاق بن عبد الله بن حمران الحمراني، قال: حدثني أبي عن جدته، امرأة من بني سعد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة، قالت: إني ليوم مارة إذ جاء مطر فدخلت فاستظللت في ظل قصر ابن أوس، قالت: فإذا الفرزدق قد أقبل على بغلته حتى دخل فاستظل معي، قالت: وذلك في وقت ما أخذ مالك بن المنذر.

حدثني عباس بن هشام عن أبيه، عن جده، قال: وأضلت نتيلة ابنها ضرارًا في الموسم، وكان وسيمًا، فكاد عقلها أن يذهب عليه جزعًا. فجعلت عليها — إن رده الله — أن تكسو البيت، وجعلت تنشده، وتقول:

أظللته أبيضَ لو ذَعِيًّا لم يك مجلوبًا ولا دَعيًّا

وتقول:

أظللته أبيضَ غير جافِ للفتية الغرِّ بني مناف
ثم لعمرو منتهى الأضياف سنَّ لفهرٍ سنة الإيلاف
في القر يوم القر والأصياف ... ...

قال: وحج حسان بن ثابت فرأى جزعها عليه، فقال:

أأمَّ ضرارٍ تنشد الناس والهًا أمالِ بن تيم اللّات ماذا أضلت
ولو أنَّ ما تبغي نُتَيْلة غدوةً بجانب رَضوى مثله ما استقلتِ

تغلب بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار

حدثنا محمد بن الحسن بن دريد، قال: أخبرنا أبو عثمان الأشنانداني عن التوزي، عن أبي عبيدة، قال: هجت الأخطلَ جاريةٌ من قومه يقال لها: الدلماء، فأتى الأخطل أباها، فقال له: يا أبا الدلماء قد عرفت ما بيننا من الود، وأن الدلماء هجتني، فأكفني أمرها، فضحك أبوها وكان ذاك مما أعجبه، وقال: هي امرأة مالكة أمرها، وما لي عليها من سلطان فرجع الأخطل وهو يقول:

ألا أبلغ أبا الدلماء عنِّي   بأنَّ عجانَ شاعِركم قصيرُ
فإن يصرَعْ فليس بذي انتصارٍ   وإن يُطعَنْ فطعنته يسيرُ
متى ما ألقَه ومعي سلاحي   يَخِرُّ على القفا وله نَخير

فبلغ ذلك أبا الدلماء، فأتاه ومعه ناس من قومه، فطلبوا إليه، فكف، وقال: أما ما قلت فات، لكني أكف فيما أستقبل.

أخبرني القاسم بن داود الكاتب، قال: حدثنا ابن أبي الدنيا قال: حدثني أبو محمد الربعي: أن امرأة من حي تغلب قُتِل أبوها في بعض حروبهم، فقالت ترثيه:

ختلته المنون بعد اختيالِ   بين صفَّين من قنًى ونصالِ
في رداء من الصفيحِ صقيلٍ   وقميصٍ من الحديدِ مذال

كنت أخباك لاعتداء يد الدهرِ ولم تخْطرِ المنون ببالي
كلٌّ حيٍّ وإن تصنعت الدنيا له ميِّت على كلِّ حالِ

وروى محمد بن خلف بن المرزبان هذه الأبيات لأم جندلة التغلبيَّة ترثي أخاها.

أخبرنا ابن دريد، قال: أخبرنا أبو الحاتم عن أبي عبيدة، قال: كان الحمارس التغلبي غيورًا، وكان لا يزوج بناته، فقعد يومًا بفناء بيته يبري وتدًا، وكان رجل أدم طوالًا، فنظرت إحدى بناته إليه فقالت:

يبدُّ الأسكتين بدًّا مثل ذراع الشيخ يبري وَدًّا
لا بدَّ أن يجرحَ أو يكدًّا

فقال: اسكتي فض الله فاك، فقالت الثانية:

يا منْ يدل عزَبًا على عزَبْ ممكورة الساقين خثماء الرَكب
تبادِر الرهزَ إذا (...) وَقب دقدقة البرذون في أخرى الجلبْ

فلم يمسِ حتى زوجهما.

حدثني محمد بن أحمد الكاتب، قال: حدثنا أحمد بن أبي خيثمة، قال: أنشدنا بن عبد الله الزبيري لعمرة بنت الحمارس التغلبية، وسمعها أبوها وهي تقول:

أنا ابنة الحمارس الشيخ الأزبْ محطوطة المتنين كبداء الرَكب
أدل من يدب بي على العجب يدارك الرَهزَ إذا (...) وَقبْ
حمحمةَ البرذون في أخرى الجلبْ كأنَّ تحت جفنه إذا انقلبْ
رمَّانةً فتتْ لمحمومٍ وَصبْ ... ...

قال: فزوجها.

حدثني أبو عبد الله الحكيمي قال: حدثنا الحارث بن أبي أسامة، قال: حدثني المدائني، قال: قالت ليلى بنت الحمارس التغلبي، وأبوها يبري أوتادًا بفناء البيت:

يا منْ يدلُّ عَزَبًا على عَزَبْ　　على ابنة الحمارس الشيخ الأزَبْ
ممكورةُ الساقين خثماء الركبْ　　تدارك الرهزَ إذا (...) وَقَبْ
دقدقة البرذون في أخرى الجلبْ　　... ... ...

قال: فقال: أبوها: مالك رد الله فاك؟ قال: فقالت:

(...) يَبُدُّ الأسكَتينِ بَدَّا　　مِثل ذِراع الشيخ يبري الوَدَّا
لا بُدَّ أن يجرح أو يَكدَّا　　... ... ...

فقال: مالك — لا بارك الله فيك — والله لأزوجنك أول من يخطبك.

كتب إليَّ أحمد بن عبد العزيز، أخبرنا عمر بن شبة، وحدثني علي بن أبي منصور، قال: أخبرنا محمد بن موسى الزبيري عن دعبل بن علي، قال: قالت عمرة بنت الحمارس من أهل الجزيرة:

أنْعتُ هو كُلهُ
حافِرهُ ورأسهُ وظِلهُ
أنعظ حتى طار عنه جُله
كأنَّ حُمَّى خيبرٍ تَمُله

حدثني محمد بن أحمد الكاتب، قال: حدثنا أحمد بن أبي خيثمة، قال: أخبرنا مصعب بن عبد الله الزبيري، قال: دخلت عمرة بنت الحمارس على عبد العزيز بن مروان وعنده جارية له فقال: ما ظنك بهذه يا عمرة؟ قالت: ظني بنفسي. قال: قولي فيها، فقالت:

عندَ أبي الأصبَغِ حيريةٌ　　ممكورة أحسبها تشتهي
ما يشتهي الناس ولم تبتدع　　داءً قديمًا أصله عُذْملي

داء يـداوي أهـلُـه أهـلَـه فـيـبـرِئ الـداءَ بـه والـدَوي
لو منيت عرد امرئ ضايط محارد النُطفَةِ عردِ المني
قد كان في عادٍ وأشياعها وكان فيهم أسْوَة المؤتسي
قد جمع الماءَ إلى أن أتت له ثلاثون (حنيكًا) فَتي
تَـمـنَـعـه الـنـومَ أمـانـيُّـه وعـقـبٌ أوتـاره مـا تـنـي
ربدَه النعْظ ففي جلده مثل الشرى ثار بجلد الشري
يـدفـئ كـفـيـه إذا قـرَّتـا تبيت كفاه به تصطلي
أثـارهـا بـطـلـق لـيِّـن غمز الطبيبين لهاة الصبي
وضَـمَّـهـا وشـمَّـهـا سـاعـة حتى إذا درَّتْ دُرورَ المري
انكسرت جفونها مثل ما رنَّقَ في العين قذاة القذي
رفَّع رجليها إلى نحرها يأطرها أطرَ ثقاف القني

أخبرنا أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة النحوي، قال: كان الفرزدق يأتي ليلى بنت الحمارس، وكان يأتيها الأحوص. فاجتمعا عندها ذات يوم، فأقبلت على الأحوص، فنفس عليها الفرزدق، وقال: نصرع، فاصطرعا، فغلبه الأحوص، صرعه فضرط من تحته، فقال له الأحوص: خفض عليك يا أبا فراس، فوالله لا يعدونا فقال: ويلك فكيف لي بجرير، فلقيه جرير فقال:

غدوت إلى ليلى فلم تحظ عندها وخـانـك دبـر مـا يـزال يـخـون
وكنتَ حريًّا أن تشدَّ حتارها كما شدَّ حرباءَ الدلاصِ قيون

حدثني أبو عبد الله الحكيمي قال: حدثنا الحرث بن أسامة، قال: حدثني المدائني أن عمرة بنت الحمارس التغلبية قالت للأخطل:

أبا مالك ماذا ترى رأى نسوة تبدلنَ حبَّ (...) بالندَفانِ

فقال الأخطل:

أرى رأيهنَّ أن (...) بفيشلٍ كبيض نعام في أداحي كثبانِ

حدثني علي بن هارون، قال: قالت عمرة بنت الحمارس الأعرابية في شهر رمضان:

فقدت شهرًا تركَ الأحراحا كل حِرٍ تحسبه ذباحا
مغضَّنًا لا يعرف الفتَّاحا ... ...

وجدت بخط حرمي عن ابن المرزبان للشماء بنت الكميت التغلبية ترثي أباها:

هل خبرت أيَّ فتىً أبيَّ إذا الكلب لم ينبح من الليل ساريا
فهلا فداكَ الموت من لم يضر له عدوا، ولم يطلق من الكبل عانيا
إذا صرَّ بردَيهِ حمائل سيفِه أبى الضيمَ مجنيًّا عليه وجانيا
نظرتُ فلما أن تأملتُ قبرَهُ وأرجاءَهُ أيقنت ألا أبا ليا

قال: ولأم طريف التغلبية في ابن عم لها يقال له فضالة:

ألا يا مقلتيَّ دعا الجمودا ولا (...) أنْ تجودا
فقد هاجَ الحمائم يوم بُصرى هوًى مستطرفًا وهوًى تليدا

روى أبو تمام الطائي في (شعراء القبائل) لحبيبة بنت عبد العزى التغلبية:

أإلى الفتى بَرٍّ تَلكأ ناقتي فكسا مناسِمَها النجيعُ الأسوَدُ
إني ورب الراقصات عشيةً بجنوبِ مكةَ هَديُهنَّ مقَلدُ
أولي على هلكِ الطعام أليةً أبدًا ولكني أبين فأنشد

أولي: أحلف، وأبين: أبيِّن، وأنشد: أظهر.

وَصَّى به جَدي وعلمني أبي نَفَضَ الوِعاءِ وكلَّ زادٍ ينْفد

بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل

أخبرني أبو عبد الله الحكيمي، ومحمد بن عبد الواحد، قالا: أنشدنا أحمد بن يحيى ثعلب عن ابن الأعرابي، عن المفضل عمه طرفة:

لا يبعدَن قومي الذين هم   سمٌّ العداة وآفة الجزرِ
النازلين بكلِّ معتركٍ   والطيبينَ معاقِدَ الأزرِ
وإذا همُ رَكبوا سمِعت لهم   زجلًا من التأييه والزجرِ
في غيرِ ما فحشٍ يجاء به   لمناتج المهرَات والمهرِ

قال ابن الأعرابي: النازلين نصب على أنه اتبعه القوم في المعنى؛ لأن معناه: النصب، كأنها قالت: لا يبعد الله قومي النازلين. وقولها: في غير ما فحش، يقول: يزجرونها بعفاف من ألسنتهم لا يذكرون الفحش في الزجر.

أخبرنا ابن دريد، قال: أخبرنا أبو الحاتم، قال: حدثنا يوسف، قال: حدثنا جرير بن المغيرة، قال: ذكر شعر الخرنق بنت هفان عند عبد الرحمن بن أبي نعيم:

لا يبعدن قومي الذين هم   سم العداة وآفة الجزر

النـازلـين بـكل مـعـترك   والـطـيـبـون مـعـاقـد الأزر

فقال: ليس أولئك، أولئك المدفونون في بيت عائشة، يعني: النبي ﷺ وأبا بكر، وعمر رحمهما الله. قال ابن دريد: وأخبرنا أيضًا أبو الحاتم عن أبي عبيدة على هذه الرواية: «النازلين، والطيبون».

وكتب إليَّ أحمد بن عبد العزيز، أخبرنا عمر بن شبة، قال: قالت: خرنق بنت هفان ترثي أهلها:

لا يبعدنْ قومي الذين همُ   سَمُّ العداة وآفة الجزرِ
النازلون بكل معتركٍ   والطيبون معاقِدَ الأزرِ
إنْ يشربوا يهَبوا، وإن يدَعوا   يتواعظوا عن منطقِ الهجرِ
قومٌ إذا رَكبوا سمعتَ لهم   لغطًا من التأييه والزجرِ
والخالطين نحيتهم بِنضارهم   وذوي الغنى منهم بذي الفقرِ
هذا ثنائي ما بقيتُ عليهم   فإذا هلكت أجنَّني قبري

أخبرني محمد بن أبي الأزهر، قال: حدثنا محمد بن يزيد النحوي، قال: مما ينصب على الذم قول النابغة:

لعَمري وما عَمري عليَّ بهينٍ   لقد نطقتْ بطلًا عليَّ الأقارع
أقارعُ عوفٍ لا أحاوِل غيرَها   وجوهَ قرودٍ تبتغي منْ تجادعُ

وقال عروة بن الورد العبسي:

إنْ كُنْتِ كارهةً معيشتنا   هاتا فحُلي في بني بدرِ
الضاربين لدى أعنَّتهم   والطاعنين وخيلهم تجري

وإنما خفضوهما على النعت، وربما رفعوهما على القطع والابتداء، وكذلك قول الخرنق بنت هفان القدسية من بني قيس بن ثعلبة:

لا يبعدنْ قومي الذين هم   سمُّ العداة وآفة الجزرِ

وكل ما كان من هذا فعلى هذا الوجه، وإن لم ترد مدحًا ولا ذمًّا قد استقر له فوجهه النعت. وقرأ بعض القراء: ﴿فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾، وحدثني علي بن أبي منصور قال: أخبرنا محمد بن موسى عن دعبل بن علي، قال: من شعر الخرنق ربعية ضبعية بدوية، تقول:

لا يبعدَن قومي الذين همُ ... ...

وذكره والبيت الذي بعده.

كتب إليَّ أحمد بن عبد العزيز، أخبرنا عمر بن شبة، قال: قتلت بنو أسد بشرَ بن عمرو بن مرثد، وابنَه علقمةَ بن بشر، فقالت الخرنق بنت هفان ترثي زوجها وابنها علقمة:

لا وأبيك آسى بعد بشرٍ ... على حيٍّ يموت ولا صديقِ
وبعدَ الخير علقمة بن بِشْرٍ ... إذا ما الموتُ كان لدى الحلوقِ
وبعدَ بني ضُبيْعة حولَ بِشرٍ ... كما مالَ الجذوعُ مِنَ الحريقِ
منتْ لهم بوالِبةَ المنايا ... بجوف قُلابَ للحَين المسوقِ
فكم بقلابَ من أوصالِ خِرقٍ ... أخي ثِقةٍ وجُمجمةٍ فليقِ
ندامى للملوكِ إذا لقوهمْ ... حُبوا وسقوا بكأسِهم الرحيقِ

قال: وقالت تحضض بني عمرو بن مرثد:

إنَّ بني الحصْنِ استحلت دماءهُمْ ... بنو أسدٍ حارِثها ثم والبه
همُ جدَعوا الأنفَ الأشمَّ بهلكةٍ ... وَجبُّوا السنامَ فالتحَوْه وغاربه
عُميْلةُ بوَّاهُ السِّنانَ بطعنةٍ ... عسى أن تلاقيه من الدهر نائبه

أخبرني محمد بن أبي الأزهر، قال: محمد بن يزيد النحوي، قال: قالت أخت طرفة بن العبد ترثيه:

عددنا لهُ ستًّا وعشرين حجَّةً ... فلما توفاها استوى سيدًّا ضخما

فُجعنا به لما رجونا إيابهُ على خير حالٍ لا وليدًا ولا قَحْما

الوليد: الصغير، والقحم: الرجل المتناهي سنًّا.

كتب إليَّ أحمد بن عبد العزيز، أخبرنا عمر بن شبة، قال: كانت أخت طرفة بن العبد تحت عبد عمرو بن بشر بن عمرو بن مرثد، ففركته، فقالت: تهجوه وتعيره بأنه لا يثأر بأبيه، وتذكر سعايته بطرفة إلى عمرو بن هند حتى قتله:

ألم ترَ مَوْروكًا وشى بابن عمِّه ليطرحَهُ في حَمي قدرٍ وما يدري
فهلَّا ابن حسحاسٍ ثأرتَ وخالدًا هنالك لم تثأرْ ببشرٍ ولم تَسْرِ

حدثني أحمد بن عيسى الحواص، قال: حدثنا أحمد بن عبيد بن ناصح، قال: حدثنا أبو عبد الله محمد بن زياد الأعرابي عن المفضل بن محمد الضبي، قال: حدثني رجل من بكر من وائل ممن أدرك الجاهلية، قال: تزوج الحارث بن عباد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة امرأة من بني عمه، فأتته بولد أشقر فأنكره، وخرج مغضبًا، فلم يأتها أيامًا، ثم دخل عليها، فقامت إليه كما تقوم المرأة إلى بعلها، فصاح بها وانتهرها، ثم أنشأ يقول:

لا تمشُطي رأسي ولا تفْليني واقتربي هلمَّ أخْبريني
ما بالهُ أحمرَ كالهجين خالفَ ألوانَ بنيَّ الجُونِ

فغضبت الحرة، واجتذبت يدها من يده، ثم قالت:

إن له من قِبلي أجدادا بيض الوجوه كرُمًا أنجادا
ما ضرهُم يوْمَ لقوا شدادا وكسروا في صدره الأعوادا
ألَّا يكونَ لونهم سوادا ... ...

قال: فوثب إليها وترضاها، حتى رضيت.

قلت أنا: وابن دريد يسند هذا الخبر إلى أبي عبيدة، ويجعل موضع الحارث بن عباد، رجلًا من بني عامر بنت صعصة، وتقدَّم.

كتب إليَّ أحمد بن عبد العزيز، أخبرنا عمر بن شبة، قال: قتل زياد بن مقاتل بن مسمع مع ابن الأشعث، فقالت حميدة بنت زياد بن مقاتل:

ياعينُ جودي ولا تذخري   وابكي رئيسَ بني جحدَرِ
وما تولت جنودُ العراقِ   وأسلم من كان في العسكرِ
حامى زيادٌ على قوْمِهِ   وَفرَّ جُديٌّ بني العنبرِ

تعني: عطية بن عمرو. قلت أنا: قال مؤرج السدوسي، وغيره: جحدر هذا هو: ربيعة بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة. وأخبرنا ابن دريد، قال: أخبرنا أبو عثمان الأشنانداني عن التوزي، عن أبي عبيدة، قال: كان زياد بن مقاتل بن مسمع قتل أيام ابن الأشعث، فقامت بنته تبكيه في المربد، فقالت:

حامى زيادٌ على قومه   وَفرَّ جُديٌّ بني العنبرِ

فسمع بذلك البلتع العنبري، واسمه: المستنير، وقد جاء بحلوبة له وهو واقف، فقال:

فأن يكُ عَضَّ أباكِ السلاح   فقد يلحقُ الموتُ بالمدْبرِ
وقد تَنْطَحُ تحتَ الغُبارِ   غير الشَهيدِ ولا المعْذَرِ
حامىَ عطيَّةُ عن قومه   وطاحَ لواء بني جَحْدَرِ

كتب إليَّ أحمد بن عبد العزيز، أخبرنا عمر بن شبة، قال: كان شيبان بن سيار صبرة بن حطان بن سيار بن عمرو الغفاري بخراسان، فجرح فحمي الماء، فعطش يومًا فدب إلى قربة فشرب من مائها، فمات، فقالت أخته درنا بنت سيار ترثيه، وأخاه عبعبة ابني سيار:

وقد زعموا أني جزعت عليهما   وهل جزَعٌ إن قلت: وا بأباهما؟
وهل جزعٌ إن قلتُ خيرًا علمته   وأثنيت ما قد أولياني كلاهما؟
هما أخوا في الحيِّ من لا أخا له   إذا خافَ يومًا سورة فدعاهما
هما يلبسانِ المجدَ أحسن لبسةٍ   وما ظلما في المجد أهلي فداهما

قال: وقالت: درنا وهي خلف مالك بن مسمع:

يا قوم كيف يلامُ من   أودى على العرَّادِ نابُه؟
وأخو عشيرته التي   عيَّتْ بحيلتهم خِطابُه

قلت أنا: وأبو العباس ثعلب يروي الأبيات الأربعة لامرأة من بني تيم الله بن ثعلبة، وهي تجيء في موضعها تامة إن شاء الله.

كتب إليَّ أحمد بن عبد العزيز، أخبرنا عمر بن شبة، قال: قالت امرأة من قيس بن ثعلبة، كانت تغزل فتأكل من ثمن غزلها، فمدحت مغزلها:

رأيتُكَ بعدَ الله تجبرُ فاقتي   إذا ضنَّ عنِّي الأقربون تعودُ
دراهمُ بيضٌ ما تزال تفيدني   وثوب إذا ما شئتُ منك جديدُ
فلو كان لي عبد مُغلٌّ مدحتُه   فأنت على كسب المغلِّ تزيدُ

قلت أنا: وقد رويت هذه الأبيات لغير هذه المرأة.

يَتْمُ اللَّات بن ثعلبة بن عكابة

كتب إليَّ أحمد بن عبد العزيز، أخبرنا عمر بن شبة، وحدثني علي بن أبي منصور، قال: أخبرني أحمد بن أبي موسى البربري عن دعبل بن علي، قال: قالت محياة بنت طليق، وقال عمر بن شبة وهي من بني تميم اللات، وقال دعبل: هي بدوية ربعية تيمية وهي من شعراء الحجاز:

على ابنيْ مُجلٍ صوت ناعٍ أصمَّني فلا آبَ محبورًا بريدٌ نعاهُما

قالا: ولأهل الحجاز أيضًا سلمى بن حارثة ربعية تيمية أعرابية، تقول:

أرى علمي لعمر أبيك (...) جديرًا أن يبيت البطن طيًّا
فنعم المرء (...) إذا هبت شآمية عويًّا

أخبرني القاسم بن داود الكاتب، قال: حدثنا أبي الدنيا قال: حدثنا الحسين بن عبد الرحمن، قال: قالت المحياة بنت طليق من بني تيم اللات بن ثعلبة، وجاء العصبة يقتسمون دارها، فقالت وسمعت أصواتهم:

يا دعوةً ما دعوتي عامرًا تالله لو يسمعُني لاستجابْ
تالله لو يسمعُ دعواهُمُ لفلهُمْ عني بظفرٍ ونابْ

فرجعوا عنها، ثم عادوا، فقالت:

لقد بدِّلتْ دارُ الأحبة منهمُ موالي، منهم ملحَقونَ وتابعُ
فلو أنَّ دارًا أعولتْ فقْدَ أهْلِها بكتْ دارنا والتجَّ منها المسامعُ

فرجعوا، فمكثوا حينًا، ثم عادوا، فقالت:

الدارُ تبكي أهلها وبكاؤها شيءٌ عجيب

فزعموا أنهم تركوها.

حدثنا علي بن سليمان الأخفش، قال: حدثنا أحمد بن يحيى ثعلب قال: قالت عمرة الخثعمية من بني تيم اللات، أو من بني تيم الله بن ثعلبة ترثي ابنين لها. قال الأخفش: وأنشدنيه الأحول:

لقد زعموا أني جزعتُ عليها وهل جزع أنْ قلت وا بأباهما

قال الأخفش تريد بأبي، فعوضت الألف من الياء، وهو شاذٌّ قليل، وأكثر ما يقع في النداء.

بُنَيا عجوزٍ حرَّم الدهرُ أهلها فما إن لها إلَّا الإله سواهُما
هما أخوا في الحربِ من لا أخًا له إذا خاف يومًا نبوةً فدعاهما
هما يلبسانِ المجدَ أحسَنَ لِبسَةٍ شَحيحانِ ما اسطاعا عليه كلاهما
إذا استغْنيا خبَّ الجميعُ إليهما ولم ينْأ مِنْ نفعِ الصديق غِناهما
إذا افتقرا لم يجثما خشية الردى ولم يخشَ رُزأ منهما مولياهما
إذا نزلا الأرضَ المخوف بها الردى يخفِّضُ من جأشيْهما منصلاهما
شهابانِ منا أوقدا ثمَّ أخمدا وكان سنًا للمدلجينَ سناهما
لقد ساءني أنْ عنَّستْ زوجتاهما وأن عُريتْ بعد الوجى فرساهما
ولن يلبث العرشان يُستَلَّ منهما خيارُ الأواسي أن يميل غَماهما

ويروى: منهما عظام الأواسي أن يزول ذراهما.

الأواسي: الأساسات، وذراهما: أعلاهما.

كتب إليَّ أحمد بن عبد العزيز، أخبرنا عمر بن شبة قال: قالت: حبيبة بنت عتيق من بني تيم اللات بن ثعلبة، تبكي قومها وأفناهم الطاعون:

ألا إنَّ عيني لم تَنَمْ لاعتلالها   ولكن أوان جمدها واحتفالِها

وحدثني علي بن أبي المنصور، قال: أخبرنا محمد بن موسى بن حماد عن دعبل بن علي، قال: من أهل الكوفة حبيبة بنت عتيق ربعية تيمية، قالت ترثي قومها ...

شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل

حدثني محمد بن إبراهيم الكاتب، قال: حدثنا أحمد بن عبيد بن ناصح النحوي، قال: حدثنا الزباري، قال: حدثنا الشرقي بن قطامي، قال: قالت أخت جساس، وهي امرأة كليب الذي قتله جساس، وجاءت لتدخل إلى مأتم زوجها كليب. وكانت أخته قد أقامت عليه مأتمًا فمنعتها من الدخول، وقالت قتل أخوك أخي، فقالت أخت جساس ...

وحدثني علي بن هارون، قال: حدثني عمي يحيى بن علي، قال: حدثني أبو هفان، قال: قالت: جليلة بنت مرة بن ذهل بن شيبان امرأة كليب بن ربيعة:

يابنة الأقوام إن لمتِ فلا   تَعْجَلي باللوْم حتى تسألي
فإذا أنْتِ تبينت التي   عندَها اللوْم فلومي واعذلي
إن تكن أختُ امرئ لِيمتْ على   جَزَعٍ منها عليه فافْعَلي

ويُروى: ليمت على شفق منها.

فِعلُ جسَّاسٍ على وجدي به   قاطعٌ ظهري ومُفْنٍ أجلي
لو بعينٍ غَيرِ عَيْني انفقأت   عيني اليمنى إذَنْ لم أحْفِلِ
أيْتَمَ المجدَ كليب وحدَه   واستوى العالي معًا بالأسفلِ
من لحكْمِ الناس في حَيْرَتهم   وَقِرى الأضياف يوم البزَّلِ
ولإصلاحٍ وإفسادٍ معًا   في صدى الرمح وَرِيِّ المنصلِ

جَلَّ عندي فِعْلُ جسَّاس فيا ... حسرتي عما انجلت أو تنجلي
يـاقـتـيـلًا خـرَّبَ الـدهـرُ بـه ... سقف َبيتي جميعًا مِنْ عَلِ
هَدَمَ البيتَ الذي استحدثتُه ... وبـدا فـي هـدم بـيـتـي الأولِ
ورمـانـي قـتـلـه مـن كـثَـبٍ ... رميةَ المصمْي به المستأصِلِ
يـا نسائي دونكن اليومَ قد ... خصَّني الدهر بأمرٍ معضِلِ
خصَّـنـي قَتْلُ كليبٍ بلظًى ... من ورائي ولظًى مستَقبِلي
ليْسَ من يبكي ليوميه كمن ... إنـمـا يـبـكـي لـيـومٍ بـجـلِ
دَرك الـثـائـر شـافـيـه وفـي ... دَرَكِ الـثـاثـرِ قـتْلٌ مُثْكلـي
لـيْـتـهُ كـان دمـي فـاحـتـلـبـوا ... بـدلًا مـنـه دمًـا مـن أكـحـلـي
إنــنــي قــاتــلــةٌ مــقــتــولــةٌ ... ولـعـلَّ الـلـه أن يـرتـاح لـي

وجدت بخط حرمي بن أبي العلاء قال: محمد بن خلف بن المرزبان: بأن هذه الأبيات لفاطمة بنت ربيعة بنت الحارث بن مرة، أخت كليب ومهلهل ابني ربيعة التغلبيين، ترثي أخاها كليبًا، وقتله زوجها جساس.

أخبرنا إبراهيم بن محمد بن عرفة، قال: أخبرنا أحمد بن يحيى، قال: أخبرنا سعدان بن المبارك عن أبي عبيدة، قال: لما كان يوم ذي قار نادت بنت القرين الشيبانية:

وَيْهًا بني شيبانَ صفًّا بعدَ صفْ ... إن تُهزَموا يُصبغوا فينا القلفْ

حدثني أحمد بن عبد الله، وعبد الله بن يحيى العسكريان، قالا: حدثنا العنزي، قال حدثنا عمر بن عبيدة، قال حدثني مدرك بن عامر الحارثي، قال: كانت امرأة من بني شيبان ناكحًا في بني يشكر، فخلت يومًا، فسمعها زوجها تقول:

أصبحت في آل الشقيق غريبةً ... عليَّ الذي لا عيبَ فيه معيبُ
وأن زمانًا ردَّني في عشيرتي ... إلـيَّ، وإن لـم أرْجُـه لـحـبـيـبُ

قال: فردها الى قومها.

أخبرنا ابن دريد، قال أخبرنا أحمد بن عيسى عن ابن أبي خالد، عن الهيثم بن عدي، قال: كان يزيد بن قرة الشيباني شديدًا منيعًا، وكان يرى رأي الخوارج، ولم يكن يخشى عمال العراق، فغاظ ذلك الحجاج وأبلغ إليه، فكتب عبد الملك — يخبره بذلك — فكتب إليه: أن أحتل له، فإن قدرت عليه، فاضرب عنقه. فدعا الحجاج يزيد بن رويم وجرير بن يزيد، فأكرمهما وأدناهما، وقال ليزيد: لك شرط العراق، ولجرير ديوان الخرج، إن أنتما أتيتماني بيزيد بن قرة. فركبا جميعًا إلى يزيد فقالا له: إن الأمير قد غضب عليك، وإنا نخاف أن ينال غضبه جميع قومك فاركب إليه قال: لا أفعل، إنه إن نظر إلي قتلني. فقالا له: ما هو بفاعل — إن شاء الله — ولا بد من أن تركب معنا، فلبس ثيابًا بيضًا، وتهيأ للقتل وركب وخرج نساؤه حتى أتين باب الحجاج، فلما أدخل عليه قال له الحجاج: أنت يزيد بن قرة؟ قال: نعم. قال: قتلني الله إن لم أقتلك. قال نشدتك الله أيها الأمير أن تقتلني؛ فإني قيم أربع وعشرين امرأة، ليس لهن قيم سواي. قال: ومن يعلم ذلك؟ قال: هن بالباب. فأمر بإدخالهن، فكل واحدة تقول: اقتلني ودعه. فيقول: من أنتِ؟ فتقول: عمته، أو خالته، أو بنته، أو بنت أخ، أو بنت أخت، حتى اجتمعن بين يديه قيامًا، فقالت ابنته:

أحجَّاجُ إما أن تمُنَّ بنعمةٍ — علينا وإما أن تُقتلنا معا
أحجَّاجُ كم تفجع به إن قتلته — ثماني عشر واثنتين وأربعا
أحجَّاجُ لو تسمع بكاءَ نسائه — وعماتِه يندبنه الليلَ أجمعا
أحجاجُ من هذا يقومُ مقامَهُ — علينا، فمهلًا لاتزدنا تَضَعْضعا
أحجَّاجُ هَبْهُ اليومَ للهِ وحده — وللباكيات الضارخات تفجُّعا

فرقَّ لها الحجاج وبكى، وكتب في أمره إلى عبد الملك — يصف ما جرى — فكتب إليه: إن كان حقًّا فاعف عنه، وألحق عياله في العطاء، ففعل.

أخبرني محمد بن أبي الأزهر، قال: حدثنا محمد بن يزيد النحوي: أن جارية لهمام بن مرة بن ذهل بن شيبان قالت له:

أهمَّامُ بن مرةَ حنَّ قلبي — إلى اللاتي يكنَّ مع الرجالِ

قال: يا فساق أردت صفيحة ماضية فقالت:

أهمَّامُ بن مرةَ حنَّ قلبي إلى صلعاء مُشرِفةِ القذالِ

قال: يا فجار! أردت بيضة حصينة ماضية، فقالت:

أهمَّامُ بن مرةَ حَنَّ قلبي إلى (...) أسُدُّ بِهِ مبالي

قال فقتلها.

وحدثني محمد بن أحمد الكاتب، قال: حدثنا الحارس بن أبي أسامة، قال: كان رجل من العرب، وكان له ثلاث بنات يأبى أن يزوجهن فعنسن في بيته، فشكت كل واحدة منهن إلى صاحبتها شوقها إلى الرجال، فقالت الكبرى: أنا أكفيكن، فكتبت إلى أبيها:

أهمامُ بن مرة حنَّ قلبي إلى اللاتي يكنَّ مع الرجال

فاشترى لها سيفًا وبعث به إليها، وقال: هذا يكون مع الرجال، فقالت لها الوسطى: ما صنعت شيئًا فضحتِنا، ولكن أنا أخاطبه فكتبت إليه:

أهمام بن مرة حن قلبي إلى صلعاء مشرفةِ القذالِ

فاشترى لها بيضة، وبعث بها إليها، فقالت الصغرى: قبحكن الله ما صنعتن شيئًا، ولكني سأصرح له، فكتبت إليه:

أهمام بن مرة حنَّ قلبي إلى (...) أسدُّ به مبالي

فزوجهن ثلاثتهن.

أخبرني أبو عبد الله الحكيمي، قال: حدثنا أبو أمية الخصيب، قال: حدثنا شباب العصفري عن إسماعيل بن إبراهيم، قال: حدثني عاصم بن الحدثان، قال: حدثني حبيب بن خدرة الهلالي، قال: ما رأيت امرأة أشد كمدًا من امرأة بني شيبان، قُتِل أبوها، وأخوها، وزوجها، وابنها، وعماها، وخالاها مع الضحاك بن قيس الخارجي في أيام مروان

بن محمد، فعاشت بعد قتل الضحاك فما رقأت لها عين، ولا رأيتها ضاحكة ولا مبتسمة، وقالت:

من لقلبٍ شفَّه الحزَنُ ولنفسٍ ما لها سكنُ
ظعنَ الأبرار فارتحلوا خيرهم من معشرٍ ظعنوا
معشرٌ قضَّوا نحوبهمُ كلُّ ما قد قدَّموا حسنُ
صبروا عند السيوف فلم ينكلوا عنها ولا جَبُنوا
فتيةٌ باعوا نفوسَهمُ لا وربِّ البيت ما غُبِنوا
ابتغوا مرضاةَ رَبِهم حين مات الدينُ والسنَن
فأصابَ القوم ما طلبوا بعدما هَدَّتْهم الفِتَن

وروى أبو تمام الطائي في الحماسة لامرأة من بني شيبان:

وقالوا: ماجدًا منكم قتلنا كذاك الرمح يَكلف بالكريمِ
بعين أباغَ قاسمنا المنايا فكانَ قسِيمها خيرَ القسيمِ

روى أحمد بن الحارث الخزار عن المدائني: أن مليكة الشيبانية قالت ترثي الضحاك بن قيس الخارجي وأصحابه:

قولي مُليك: عليكِ بالصبرِ تستوجبين فضائلَ الأجر
قولي فإنكِ غير كاذبةٍ يا عدتي لنوائب الدَّهرِ
أورَثتي كمدًا يؤرقني وتلهُّفًا وحرارةَ الصدرِ
ومرارةً في العيش دائمةً وحرارةً كحرارةِ الجَمْرِ
ذهبَ الذي قد كانَ يأمرنا بالخير والمعروفِ والذِكر

قال: وقالت ترثي أخاها:

مَنْ لجاراتكَ الضعافِ إذا حل بها نازلٌ من الحدثان؟
مَنْ لضيف ينتابُ في ظلمةِ الليلِ إذا مَلَّ منزل الضيفانِ؟

سوفَ أبكي عليكَ ما سمعت أذنايَ يومًا تلاوةَ الفرقانِ
أينَ من يحفظ القرابة والصِّهرَ ويؤتى لحاجةِ اللهفانِ؟
ويحوط المولى ويصطنع الخيرَ ويجزي الإحسانَ بالإحسانِ
ويكفُّ الأذى ويبتذل المعروفَ سَمحَ اليدين سبط البنانِ

قال: وقالت أيضًا ترثيه:

يا عَين جودي بالدموع بواكفٍ حتى المماتِ
قولا لمن حضَر الحروب من النساء الشاريات
أمسين بعد غضارةٍ ونعيم عيشٍ مثبتات
من بعد عيشٍ ناعم صارتْ عظامهم رفاتِ
وإذا المنيَّةُ أقبلتْ لم تغنْ أقوال الرُّقاة
كنت المؤمَّل والمُرجَّى في الأمور المعضِلات
كنت المؤامرَ والمؤازرَ والمطالِبَ للترات

قال: وقالت أيضًا ترثي عمها:

أصَبرت عن عمي الذي قد كان بالمعروف آمرْ؟
أصَبرت عن عمي الذي كان المؤامرَ والمؤازِرْ؟
إخوانهُ النَّفر الشراةُ ذوو الفضيلة والبصائرْ
يا عم كنتَ لسان قَومِك حين يجتمعُ المعاشِرْ
فلأبْكِينَّك بالغداة وبالأصائل والهواجرْ
ولئن بكيت لقد رزئتُ بفارسٍ بطلٍ مغاورْ

قال: ولها أيضًا ترثيه:

ما بال دمْعك يا مليكَةُ جارِ أم ما لقلبك لا يَقرُّ قرار؟
أم ما لنفسِك ليس يسكنُ حزْنها ليلًا، وليس نهارها بنهار؟
جَزعًا على من كان يجمع شملنا ونعِدُّه لنوائب وعَثَار

لو كنت أملك دفع ذلك لم تكن   يا عمٍّ بين نضائدٍ وغُبار
ألقيتُ جلبابي لعِظم رزيتي   وبرزْتُ سافرةً بغير خِمار
زُرت المقابر كي أسَلي عبرتي   هيهات ممن زرت بعْد مَزار
فَلتبكِ نسوانُ الشُراةِ بعبرةٍ   عند الحروب وكل كهل شاري
وليبكه المولى، وطالبُ حاجةٍ   عند العِشاءِ، وكلَّ ضيفٍ طاري
أين الذين إذا ذكرت فعالهم   عرفوا بحسن عفافَةٍ ووقارِ؟
أين الذين إذا أتاهم سائلٌ   بذلوا له أموالهم بيسار؟
أين الذين إذا ذكرنا دينهم؟   قالت عشائرهم: همُ الأخيارُ

قال: وقالت أيضًا:

أبكي المغيَّب في الثرى   بين النضائد والصفائح
أبكي وحقَّ لي البكاء   مع الغوادي والروائحْ
فلأبكينك ما غدت شمسٌ   وما جرت البوارح
من ذا يُرجَّى للنصيحة   حين تُعتقد النصائح؟
أم من يُرجَّى للقريب   ومن يكون لكل نازح؟
أم من يؤمَّل لليتيم   وكل ذي غربٍ ونائح؟
أم من يعمُّ صديقه   خيرًا ويحجرِ كلَّ نابح؟

قال: فقالت ترثي الضحاك:

ما بال دمْعِك دائم السَجْم   مثل الجمان وهي من النظم؟
جَلت مصيبتُنا وقد عظمت   لما فُجعت بسيِّدٍ ضخم
حلو الشمائل حين تخبره   حَسَن السريرة ماجدٍ شهم
يَصِل القرابةَ والجوار إذا   قَطَع القرابةَ صاحب الظلمِ
فلأبكينَّك كلما وخِدَتْ   عيسٌ بأرحلِها على رَسْمِ
ولأبكينك عند مجتمع الأمْلاء   عند تطاول الخصْم

وجدت بخط حرمي بن أبي العلاء عن محمد بن خلف بن المرزبان لأم معدان الشيبانيَّة من بني أسد ترثي ابنها معدان، وقتلته بهراء:

مَعْدان من للحيِّ إذ هبَّت شآميَّةً فجورا
عسراء من قِبل الشمال تكاد تنتزع الكسورا
وتبادر القوم القداح وأغْلت السنة الجزورا
غدرت به بهراء ولم يكُن ابني غدورا

يَشكر

وجدت بخط الرومي عن ابن المرزبان، قال: كانت أم عقبة بنت عمرو بن الأبجر اليشكرية عند ابن عمها غسان بن جهضم، فخاف أن تزوج بعده، وأراد أن يعلم ما عندها في ذلك، فقال:

أخبريني الذي تريدين بعْدي والذي تصنعين يا أمَّ عقبه
تحفظيني من بعْد موتي لما قد كان مني حسْن خُلق وصحبَه
أم تريدين ذا جمالٍ ومُلكٍ وأنا في النيران في سُحق غربه

فأجابته:

قد سمعت الذي تقول وما قد خفْتَ منه غسان من أمر عقبه
أنا من أحفظ النساء وأرعا هُ لما قد أوليت من حسْن صحبه
سوف أبكيك ما حييت بشجوٍ ومراثٍ أقولها وبندبه

عجل بن لُجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل

أخبرنا إبراهيم بن محمد بن عرفة النحوي، قال: أخبرنا أحمد بن يحيى النحوي، قال: أخبرنا سعدان بن المبارك عن أبي عبيدة، قال: لما كان يوم ذي قار، تقدمت عجل وأبلت بلاء حسنًا، واضطمت عليهم جنود العجم، فقال الناس: هلكت عجل. ثم حملت بكر، فوجدت عجلًا ثابتة تقاتل، وامرأة تقول منهم:

إن يظفروا يجرِّدوا فينا الغُزَلْ
إيهًا فداءٌ لكمُ بني عِجل!

وتقول أيضًا تحضض الناس:

إن تهزموا نعانق ونفرش النَّمارق
أو تهزَموا نفارق فراقَ غير وامق

أخبرنا محمد بن الحسن بن دريد، قال: أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة، قال: كان الحارث بن تولب، أخو النمر بن تولب الشاعر، سبى حسينة بنت جابر بنت بجير العجلي يوم العداب، وكانت عند ابن عمها تمام بن سوادة بن بجير، ففرَّ عنها يومئذ فأخذت. فقدم سوادة بن بجير وزوجها تمام، وأخوها أبجر بن جابر على الحارث بن

تولب يطلبون إليه أن يردها إلى أهلها، فخيرها الحارث المقام معه، أو الانصراف إلى قومها، فاختارت المقام، فلامها زوجها، فأنشأت تقول:

تـمَّـامُ قـد أسـلـمـتـنـي لـرمـاحـهـم   ومضيتَ تركض في عجاج القسطل
وتــلــومــنــي ألَّا أكــرَّ إلــيــكــم   وفـررتَ عـنـي فـي الـرعـيـل الأوَّلِ

ثم إن الحارث وهبها لأخيها أبجر، وقال:

وخـيَّـرنـا حـسـيـنـة إذ أتـانـا   سوادةُ ضـارعًـا معه النداء
وقالت: إن رجعتُ إلى لجيمٍ   مـخـيرةً فـقـد ذَهـبَ الـحَـيـاءُ

وروى محمد بن العباس اليزيدي عن محمد بن حبيب، عن ابن الأعرابي وعمارة بن عقيل: أن يوم العداب، وهو يوم الصعاب، وهو يوم أغارت فيه بنو عبد مناة بن أد بن طابخة، على عجل وحنيفة بالأراكة من أرض جو اليمامة. وقتل منهم كريز بن سوادة العجلي، قتله مالك بن خياط العكلي، ثم الأقيشي. وسبيت حسينة بنت جابر بنت بجير بن شريط العجلي أخت أبجر بن جابر، وكانت تحت تمام بن سوادة معرسًا بها، فسباها عمرو بن الحارث بن أقيش العكلي، فلبث عنده، ثم إن تمَّامًا زوجها وأباه سوادة، أتياها ليفادياها، فاختارت عمرو بن الحارث، وقالت في ذلك حسينة تعير تمَّامًا زوجها:

تـمَّـام قـد أسـلـمـتـنـي لـرمـاحـهـم   وخرجت تركض في عجاج القسطل
وتـلـومـنـي أن لا أكـرَّ عـلـيـكـم   هـيـهـات ذلـك مـنـكـم لا أفـعـل
إنـي وجـدتـكـم تـكـون نـسـاؤكـم   يـوم الـلـقـاء لـمـن أتـاكـم أول

ثم إن أخاها أبجر بن جابر أتاها بعد ما ردت تمامًا وأباه، فلامها على اختيارها على قومها، فرضيت بالرجوع مع أخيها، ففاداها بمائة من الإبل وخمسة أفراس. وسار معها عمرو بن الحارث حتى زوَّجها أرض بني تميم، وقال في ذلك عمر بن الحارث العكلي:

وخَـيـرنـا حُـسَـيـنـة إذْ أتـاهـا   سـوادةُ ضـارعًـا مَـعَـهُ الـفِـداء
فـقـالت: إن رجعتُ إلى لـجـيـم   مـخـايـرةً، فـقـد ذهـب الـحـيـاءُ

فما صبروا ولا عطفوا علينا ... وندعوهم، فما سُمِعَ النداءُ
وكنتُ مَهيرةً فيكم فأمسي ... ومهري فيكمُ الأسَلُ الظِماءُ
وكانَتْ صفوتي من سَبي عجْلٍ ... حُسَينة من كواعِب كالظباء
وهبناها لأبجر إذْ أتانا ... وفينا غيرها منهم نساء
فكانَ ثوابُه منها جيادًا ... وسَوْقَ هُنَيدَةٍ فيها رِعاءُ

وفي ذلك يقول جرير للأخطل:

ورأت حسينَةُ بالعداب فوارسي ... تحوي النهابَ وتقْسِمُ الأنفالا

كتب إليَّ أحمد بن عبد العزيز، أخبرنا عمر بن شبة، قال: قالت أم عامر بنت معن العجليَّة تهجو ابني قيس بن ثعلبة، ورواها أبو عبيدة لها أيضًا:

قبحًا لزمٍّ وأبيات لها حُصُر ... إذا السَراب جرى ميلًا إلى ميلِ
لو كنت فاخرةً أعطيت غيركم ... ولا دَبِيبَ لكم أولادَ مجهولِ
سودٌ جَعاسيسُ لا تحظى هَدِيَّتُهم ... وليس يعفونَها من أسوأ القِيلِ

أخبرني أبو ذر القراطيسي، قال: حدثنا ابن أبي الدنيا، قال: حدثني محمد بن سلام، وكتب إليَّ أحمد بن عبد العزيز، قال: أخبرنا عمر بن شبة، قالا: قالت امرأة من بني عجل في الطاعون الجارف بالبصرة، وذلك في سنة سبعين، أيام مصعب بن الزبير، وقد ذهب أهلها فسمعت عواء الذئب:

ألا أيُّها الذِّئبُ المنادي بسُحرَةٍ ... هل أنبئك الأمر الذي قد بدا ليا
بدا لي أني قد يئمتُ وأنني ... بقية قوم أورثوني المباكيا
ولا ضيرَ أني سوف أتبعُ مَن مضى ... ويتبعني من بعدُ من كان تاليا